

جُوهر إِسْلَام

العدد 6/5 . السنة 22

م 1443 / 2022 هـ

الثمن 5 د.ت - 5 أورو



جوهر الإسلام

مؤسس المجلة فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي رحمة الله

المدير ورئيس التحرير
الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

| | |
|------------------------|--|
| العنوان | 28 نهج جمال عبد الناصر - تونس 1000 |
| الهاتف | 216.71.327.130 216.71.423.233 |
| الفاكس | mestaoui.s@gnet.tn www.jawhar-al-islam.info |
| البريد الإلكتروني | الموقع الإلكتروني |
| الحساب الجاري بالبنك | 010000211110000238106 |
| العربي لتونس (الجزيرة) | العنوان |
| ISSN | 0330-4957 |

| الاشتراك للمؤسسات | الاشتراك بتونس | الثمن للأفراد |
|-------------------|-----------------|----------------|
| بتونس 50 د.ت | لأفراد : 30 د.ت | بتونس 5 د.ت |
| بالخارج 50 أورو | بالخارج 40 أورو | بالخارج 5 أورو |

تم طبع وإنجاز هذا الكتاب في



12 نهج الخيرية - 1002 تونس البلفيدير
البريد الإلكتروني: sotepagraphic@yahoo.fr

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَتَكُن مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ



جوهر الإسلام

مؤسس المجلة فضيلة
الشيخ الصبيب المستاوي رحمه الله

المدير ورئيس التحرير
الأستاذ محمد صالح الدين المستاوي

المحتوى

- الافتتاحية : في جوهر الإسلام مادة علمية جديرة بعميم الإفادة بها 6
- رئيس التحرير**
- تفسير آيات من القرآن الكريم 8
- قلم السخن الحبيب المستاوي رحمة الله**
- تأصيل شرعي للتصوف 11
- بعلم العلامة السخن عبد الله بن بية**
- الإسلام وأخلاقيات المهنة 25
- الأستاذ الدكتور أبو بابة الطاهر صالح حسن**
- القرآن هو النور الإلهي الذي أضاء العالم كله في فترة زمنية قصيرة 30
- فضيلة الشيخ الدكتور أحمد الصبيب - شيخ الأزهر**
- النشوز والمشاكستات بين الأزواج في العصر الحديث 35
- بعلم صالح العود / فرنسا**
- مفهوم البدعة بين المحددات الضابطة والأخلال المنهجية(الجزء الثاني) 39
- بعلم إبراهيم أحمد المقرى**
- الحياة ومنتزنه الرفيعة في الدين في رياض السنة 48
- بعلم الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي**
- السلطان والإسلام 54
- وحيد الدين خان**
- الشّوري منفعة 58
- بعلم الأستاذ حامد المغيري**

| | |
|--|----|
| مفاهيم إسلامية : اجعل نفسك ميزانا في ما بينك وبين الناس..... | 62 |
| بِقَلْمِ السَّيِّدِ الْحَبِيبِ الْمُسْتَاوِيِ رَحْمَةُ اللَّهِ | |
| الإِحْرَام : أَوَّلُ الشُّعُورِ بِالشُّرُوعِ فِي مَنَاسِكِ الْحَجَّ أَوِ الْعُمْرَةِ..... | 65 |
| بِقَلْمِ السَّيِّدِ صَالِحِ الْغَوْدِ | |
| فتوى سماحة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشر رحمه الله (حول الاحرام من جدة) | 68 |
| الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي الدولي عرض وتقديم الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي قراءة في موسوعة الحج والعمرة..... | 70 |
| تَأْلِيفُ الدَّكْتُورِ قَطْبِ مُصطفىِ سَانُو | |
| خطبة الجمعة | 73 |
| القاضي الشيخ يوسف بن يوسف من أعلام الاجتهاد في علم المواريث الشرعية و مجلة الأحوال الشخصية | 78 |
| بِقَلْمِ الدَّكْتُورِ الصَّحْراوِيِ قَمْعُونِ | |
| الجزائر تفقد احد كبار رجالاتها طبيب القلب ورئيس اتحاد الزوايا | |
| الدَّكْتُورُ مُحَمَّدُ شَعْلَلُ | |
| عرض لأطروحة دكتوراه في موضوع نظرية الحاكمة والسلطة السياسية للباحث طارق بن ساسي..... | 84 |
| خواطر من وحي احتفالية العشرينية الاولى لوفاته من سجايا ومحامد فضيلة الشيخ حسن الورغبي رحمه الله ومدرسته(المعلم والرمز) | 90 |
| مُحَمَّدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدِّينُ الْمُسْتَاوِي | |
| يسألونك قل | 92 |
| جريدة الجمعة ...الجريدة التي لم تصدر | 95 |
| بِقَلْمِ صَالِحِ الْحَاجَةِ | |

الافتتاحية:

في جوهر الإسلام مادة علمية جلدية بتعميم الإفادة بها

يصدر هذا العدد (5 / 6 من السنة 21) من مجلة جوهر الإسلام حافلا بالدراسات والبحوث العلمية والأبواب القاربة (من تفسير وشرح حديث وفتاوي وخطبة جماعية ومتتابعة لما جد بعد وصدور العدد السابق في الساحة العلمية والدينية)

كما يتضمن العدد ملفا عن الحج إلى بيت الله الحرام يحتوي على موضوع حول الإحرام أول الشعور في شعائر الحج والعمرة كتبه فضيلة الشيخ صالح العود وفتوى لسماحة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله حول جواز الإحرام من جهة وتعريف بموسوعة الحج والعمرة التي اعدها الأستاذ الدكتور قطب مصطفى سانو الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة التعاون الإسلامي بجدة وتحليل لبعض مضامين خطبة حجة الوداع وهي موضوع خطبة جماعية وذلك مواكبة لشد الرحال في هذه الأيام لأداء مناسك الحج من طرف بعض من يسر الله لهم ذلك في هذا العام (تقبل الله منهم صالح أعمالهم وجعل حجتهم حجا مبرورا) وذلك بعد أن حالتجائحة كورونا - عافي الله الجميع - دون ذلك في الستين الماضيين ونسال الله أن يعود هذا الرحمن من أركان الإسلام إلى سابق وضعه باعتباره أكابر وأوسع لقاء ديني وروحي في أقدس مكان على وجه الأرض بجوار أول بيت وضع للناس رفع قواعده الخليل إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام وأمر بأن يؤذن في الناس بالحج ﴿وَأَذْنِ فِي النَّاسِ بِالْحَجَّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجَّ عَمِيقٍ لِيُشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ وجاء دين الإسلام الذي بعث به سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ليجعله خامس أركانه ﴿وَلَلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ وتخصيص هذا الملف عن الحج في هذا العدد من مجلة جوهر الإسلام مواكبة لأداء هذه الشعيرة من شعائر الإسلام يندرج ضمن ما اعتادت عليه (في سلسلة إصداراتها الأولى والثانية) من الاهتمام بأركان الإسلام وبيان أحكامها وأسرارها وحكمها والمساهمة في التوعية بها وتجليتها والإفادة بما حبره العلماء الأعلام في هذا المجال وهي مادة لو كتب لها أن تجمع وكانت أسفارا تسد فراغا وتتوفر مادة علمية لا غنى عنها للباحثين والدارسين.

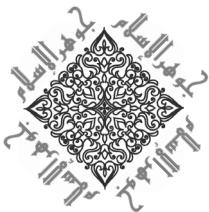
وكذلك الأمر بالنسبة لقضايا وسائل علمية قديمة ومستجدة تضمنتها اعداد مجلة جوهر الإسلام في مجلداتها العشرين وهي بحمد الله محفوظة موثقة نسأل الله أن يعين على تعميم الإفادة بها.

ومجلة جوهر الإسلام وهي تقدم عددها الجديد (5 / 6 من سنتها 21) لا تزيد ان تعكر على قرائتها صفو الاستمتاع بمادتها العلمية التي يصلنا منها مشكورين الثناء الجم عليها والدعاء إلى الله بالعون على مواصلة إفادتهم بها وهو ما يزيدنا عزما على المضي فيه بعون الله وتوفيقه (فهو سبحانه نعم المولى ونعم المعين). بالحديث عما يعيشه عالم الورق والطباعة من مصاعب توشك أن تأتي على ما بقي من الإصدارات الورقية وأثمان الورق تتضاعف في العام الواحد عديد المرات وهو ما سنحاول التعامل معه ببذل أقصى ما في الطاقة والوسع إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا شاكرين لقرائنا حسن تفهمهم إذ المهم بالنسبة لنا ولا شك أن الأمر كذلك بالنسبة إليهم هو أن تواصل جوهر الإسلام الصدور والصمود والثبات وان تظل منبرا للإسلام في هذه الربوع من العالمين العربي والإسلامي تجلي حقائقه وتنشر هديه القويم وتدفع عنه شبّهات أعدائه وغلو بعض اتباعه تدعو إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة وتشرف بتقديم خلاصة وربّة آراء علماء الأمة الاعلام من مختلف بلاد العرب والإسلام وفي طليعتهم علماء الزيتونة الاعلام ومن سار على نهجهم من أبناء هذه الربوع التي كانت ونريدها ان تظل كذلك منارة تشع بإسلام الوسطية والتسامح والاعتدال والتنوير والتحرير والاجتهاد والتجدد بخصوصياته السنوية الاشعرية المالكية الجنيدية.

على هذا النهج الرشيد القويم تأسست جوهر الإسلام على يدي فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله قبل ما يزيد على نصف قرن من عمر الزمان وعليه تمضي بعون الله وإننا لنعد جوهر الإسلام صدقة جارية وعلما يتتفع به يضافان إلى ما قدمه رحمه الله وسعى به إلى ربه في قائم حياته ﴿وَأَنَّ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوَّلُ﴾:

ولولا ان جوهر الإسلام عمل خالص ابتغي به وجه الله لما واصلت الصدور طيلة هذه المدة من عمرها المديد ان شاء الله والتي هي طويلة في عمر المجالات الثقافية الإسلامية التي لا تصدر عن هيئات ومؤسسات. ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلٍ وَمِنْ بَعْدٍ﴾.

رئيس التحرير



تفسير آيات من القرآن الكريم بقلم الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

لَمِنْ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (41) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (42) وَلَمَنْ صَرَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمْنَ عَزْمُ الْأُمُورِ (43) وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٌّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرْدَ مِنْ سَبِيلٍ (44) وَتَرَاهُمْ يُعْرِضُونَ عَلَيْهَا حَاسِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْنُظُرُونَ مِنْ طَرْفِ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْحَسِيرِينَ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ (45) وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أُولَيَاءِ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ (46) سورة الشورى.

جاءت الآية الأولى مقررة لما تقدم في الآيات السابقة وهو مسألة الجزاء والاقتراض الذي هو كما أسلفنا حق شرعي لا يلام من تمسك به وإن كان المتتجاوز يستحق كل أجر وشكر **﴿لَمِنْ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾** نعم ليس لأحد عليهم من طريق للعقاب واللوم أخرج ابن مردويه عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إذا كان يوم القيمة أمر الله مناديا ينادي إلا ليقم من كان له على الله أجر فلا يقوم إلا من عفا في الدنيا وقرأ قوله تعالى **﴿فَمَنْ عَفَنَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾** وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر رضي الله عنه (ثلاث كلهن حق ما من عبد ظلم بمظلمة فيغضي عنها إلا أعزه الله تعالى بها ونصره. وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة إلا زاده الله بها كثرة وما فتح رجل باب مسألة إلا زاده الله

عزّ وجل قلة) وينتقل سياق الآيات من مسألة التجاوز والدفاع الشرعي إلى مسألة تعمد الظلم. مبينة للعواقب الوخيمة التي تتضرر الظلمة والمفسدين، وتصل في بيانها إلى درجة العرض التشخيصي للخواتم المؤلمة التي تتضررهم وهي آتية لا ريب فيها فلنستمع إلى العزيز القدير يسوق لنا كل ذلك بأسلوب بلغ حكيم ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ السبيل للاقتصاص والانتقام والتأديب سواء في هذه الدار أم في الدار الآخرة لن يكون إلا على من يعتدون على الضعف من خلق الله فيغتصبون حقوقهم ويدوسون كرامتهم مغتررين بما أوتوا من أسباب القوة المادية أو المعنوية تلك القوة التي كان عليهم أن يرحموا بها من سلطتها الأقدار منهم. وان تكون وسيلة للخير وجلب المصالح ولكنها ويا للأسف بلدت شعورهم وحجرت عواطفهم فأنسنthem ضعفهم البشري وواجباتهم الإنسانية المقدسة ولقد توعدهم الله بالعذاب الأليم وأطلقوه فلم يقيده بزمن ليشمل الدنيا والآخرة

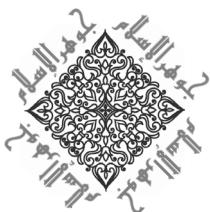
فما من يد الا يد الله فو قها

ولا ظالم إلا سبلي بظالم

ويأبى المولى سبحانه وتعالى بعد التهديد الصارخ والوعيد المذهل إلا أن يعقب عليه بما هو كالجملة المعتبرة من قوله جل من قائل ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لِمَنْ عَزْمُ الْأُمُورِ﴾ كلام مؤكد بمؤكّدات متعددة يأتي بعد تحوييف ليدل على أن الله سبحانه وتعالى يحب من عباده الصبر والحلم والتجاوز وان ذلك لا بد أن يكون سببا لإدراك كل الأمور المحببة المؤدية إلى الخير الدائم ﴿إِنَّ ذَلِكَ لِمَنْ عَزْمُ الْأُمُورِ﴾ ثم يقطع سبحانه وتعالى الطريق عن أولئك الذين يخيل إليهم طيشهم وغروورهم أن أقوياء العباد يستطيعون أن ينفعوا أولياءهم وأقاربهم الذين أضلواهم فيقول ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٌّ مِنْ بَعْدِهِ﴾ وكيف يهدى من أضل الله؟ وكيف ينقذ من أراد الله إهلاكه؟ أبدا لن يكون شيء من ذلك وقد اكدا هذا المعنى في مناسبات كثيرة منها ﴿وَمَنْ يُضْلِلُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ ويأتي بعد التقرير والإثبات دور العرض التشخيصي لمآل الظلمة الأفاكين حتى تشارك جميع منافذ الإدراك في اكتناه الحقيقة السرمدية وهي إهلاك الظلم والظالمين مهما كان نوع الظلم سواء كان للأفراد أم للجماعات، وسواء أكان للنفس أم للمثل والفضائل فهو كله بشع يمقته الله ويمقته كل من له ضمير (الظلم ظلمات يوم القيمة) سوف يحشر الظالمون كالذر تدوسهم الخلاقين ولا يؤبه

بهم جزاء ما قدمت ايديهم وسوف يقال لكل متطاول ظلوم ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍ مِّنْ سَيِّلٍ﴾ .

استمع أخي إلى ربك العزيز يخاطب أذنيك وعينيك فيقول ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا حَاسِعِينَ مِنَ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ حَفِيٌّ﴾ ألسنت شاهدهم وقد نكست منهم الرؤوس وجردوا من جميع وسائل الانتفاش والغرور حتى أنهم لا يستطيعون أن يواجهوا الأشياء بأبصارهم الذليلة المنكسرة الكثيبة انهم أشبه شيء بال مجرمين المصفدين في الأغلال يسوقهم إلى غياب السجون جنود قساوة عتاوة أو هم كالأسرى المشخنين بالجراح المتعفرين بغيار الهزيمة يرعنون ايديهم علامه الاستسلام وهم صفر الوجه غير الألوان لأنما سودت وجوههم بالظلم يضحك منهم الصبية والنساء لا يلمح عليهم اثر للرجولة والقوه والعزميه ومثل هذا العرض قوله تعالى في آية أخرى ﴿لَوْ تَرَى إِذْ وُقْفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذَّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ بَدَّا لَهُمْ مَا كَانُوا يَخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ . ان أمنية العودة إلى الحياة الدنيا أمنية سخيفة يقولها كل مفرط كذوب، وانهم لو مكنوا من هذه الرغبة لما فعلوا غير الذي كانوا يفعلون إزاء هذه المشاهد المفزعة والحقائق الناطقة يلهج أولئك المعافون الناجون الذين ألهموا رشدهم والتزموا الإيمان والتوفيق، يلهجون جميعاً بمقالة واحدة مؤداها أن الخسارة التي لا تعارض هي هذه التي نشاهدها لأن هذه هي التي تتيجتها الإفلاس الدائم والفرقه بين ذوي القرابات والأصدقاء والأحباب ﴿فَرِيقٌ فِي الْحَيَاةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ مساكين هؤلاء الذين ابوا أن يقلعوا عن جبروتهم وطغيانهم حتى زجوا بأنفسهم في عذاب دائم لا يتنهي زمنه ولا تنقضي غصصه ولقد غاب الولي الحميم والجاه العظيم فلا تنفعهم معدرتهم ولا ينقذهم أنصارهم وأحبابهم لأن جميع السبيل والمنافذ تسد في وجه الذين أضلهم الله وسلب منهم الرشد وضرب على قلوبهم بالأسداد ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ أُولَئِاءِ يَصْرُونَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَيِّلٍ﴾ أجل ليس له من سبيل يصل به إلى الحق في الدنيا ولا إلى الجنة في الآخرة الا ليتنا نسمع إلى آيات الله باذانا وقلوبنا وليتنا نتفع بها في آجلنا وعجلنا وبذلك تكون من السعداء في الدنيا والآخرة .



تأصيل شرعي للتصوف

بقلم العلامة الشيخ عبد الله بن بية
رئيس منتدى تعزيز السلم

إن الخصومة الفكرية بين مختلف الطوائف الإسلامية لم تسلم منها طائفة، فلم يكن من الغريب ولا الشاذ أن ت quamطائف الصوفية في هذه الخصومة أصلاً وفرعاً. وفي هذه الكلمة فإنما يستثار باهتمامنا هو الأصل وليس الفروع؛ لأن سلامه الأصل تيسير محاكمة الفروع على ضوئه؛ لأن كل فرع مردود إلى أصله ومعتبر به. فإن وافقه حكم له بحكمه صوابه أو خطأه، وإن لم يوافقه انتفى نسبة وانقطع سببه، وحكم له بحكم نفسه، ورد إلى نوعه وجنسه.

ولهذا فأول ما نفتح به هذا البحث هو الاسم والعنوان: الصوفية والتصوف. ولأن الحكم على شيءٍ فرع عن تصوره فلا بد من تعريف ماهيته بحد أو رسم أو تفسير، كما يقول سيدى أحمد زروق.

وقد اختلف الناس في تعريف هذا اللفظ إلى ألفي قول، كما يقول سيدى أحمد زروق في قواعده، لكنه في نفس القاعدة يرده إلى صدق التوجّه إلى الله تعالى وهو الإحسان.

قال السيوطي في النقاية: التصوف «تجريد القلب لله واحتقار ما سواه بالنسبة إليه». وقال بعضهم: «هو السلو عن الأعراض بالسمو إلى الأعراض».

واختلاف التعريفات - كما يقول ابن أبي شريف - راجع إلى مقام من مقامات التصوف غالب على قائله النظر إليه، فعرفه به باعتباره الركن الأعظم، كما عرف النبي عليه الصلاة والسلام الحج بقوله: "الحج عرفة" باعتبار ركته الأعظم.

وقد أشار البستي إلى هذا الخلاف في تعريف التصوف بقوله:

تختلف الناس في الصوفي واختلفوا
ولست أمنح هذا الإسم غير قى صاف فصوفي حتى سمي الصوفي
فإذا كان لنا أن نجري مقارنة حتى تتميز الأمور، لأنه بذلك تبين الأشياء، فلننقل
مع أبي حامد الغزالى: إن علم المعاملة ينقسم إلى علم ظاهر وعلم باطن، فعلم
الظاهر هو أعمال الجوارح وعلم الباطن هو أعمال القلوب، والوارد على القلوب -
التي هي بحكم الاحتياج عن الحواس من عالم الملوك - إما محمود أو مذموم.
فالتصوف هو النظر لأحوال القلوب، كما أن النظر لأحوال أعمال الجوارح سمي
فقها إذ الفقه هو العلم بالأحكام الشرعية الفرعية المستنبطة من أدلةها التفصيلية.

ولا ينبغي التوقف عند الاسم والعنوان فلا مشاحة في الاصطلاح، والأسماء
إنما تعتبر بحسب محتواها وفحواها عند أهلها فإذا كان هذا المحتوى حسناً كانت
الأسماء حسنة والعكس صحيح . ولعل ذلك مندرج في قوله تعالى (وعلم آدم
الأسماء كلها).

فما هو فحوى التصوف وما هو محتواه؟: إنه صدق التوجّه .. إنه الإحسان الذي
هو الجزء الثالث من أجزاء هذا الدين، والذي كان حديث جبريل فيه يعتبر درس
مراجعة لما درسه الصحابة في العشرين سنة السابقة. فقد جاء جبريل عليه السلام
يسأل المصطفى صلى الله عليه وسلم حتى يلخص رسالته العظيمة في الإسلام
والإيمان والإحسان.

والإحسان كمال لا حدود له، وتسام لا سقف له فهو شعور بالحضور والشهود
مقارنا للعبادة، فلا العبادة في نفسها تمثل الإحسان، ولا ذلك الشعور المتسامي
والشهود المتعالي يمثل الإحسان حتى يجتمعوا معاً، وكانت كلمته عليه الصلاة
والسلام إعجازاً "أن تعبد الله كأنك تراه" ، وهو يخاطب الأمة من خلال الروح الأمين
الذي كان يصدقه في كل ما يقول ولهذا عجب الصحابة من هذا الطالب الغريب الذي
يصدق الأستاذ: «عجبنا له يسأله ويصدقه» والمفترض أنه لا يعرف ما يسأل عنه. إن
تصديقه له دليل على أنه على علم بما يسأل عنه.

والمعنى الذي أشرت إليه وهو مقارنة العبادة للشهود وإن كان غير متداول فقد أشار بعضهم إليه كسيدي أحمد زروق في القاعدة 21 حيث أشار إلى التلازم بين العلم والعمل قائلاً: وقد عرف أن التصوف لا يعرف إلا مع العمل به فالاستظهار به دون عمل تدليس، فالعمل شرط كماله، وقد قيل: العلم بالعمل فإن وجده وإن ارتحل.

كيف يتوصل إلى الإحسان الذي هو من أعمال القلوب ؟

إن الصوفية تقدم أنواعاً شتى من الوسائل مستفادة من الكتاب والسنة والتجارب الروحية الخاصة اعتماداً على قوله تعالى (وفي أنفسكم أفلات بتصرون)، فجدوا في العبادة وألزموا أنفسهم الأوراد في الأوقات وأمرروا بالمحافظة عليها بإطلاق.

وشهدوا في الامتثال: فلا فرق في مقتضى الطلب بين واجب ومندوب ولا بين مكروه ومحرم، وهذا الاعتبار جرى عليه أرباب الأحوال من الصوفية ومن حذا حذوهم ممن اطرح مطالب الدنيا جملة، وأخذ بالحزم والعزم في سلوك طريق الآخرة". والكلام للشاطبي في المواقفات.

واشتغلوا بالأذكار فرتعوا في رياض الجنة كما في الحديث الصحيح "إذا مررت برياض الجنة فارتعوا" ، قيل: يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: "حلق الذكر" ، وكأن الشاطبي الآخر وهو الإمام أبو القاسم صاحب القرآن رحمة الله يعندهم بقوله: "روي القلب ذكر الله فاستيقن مقبلاً ولا تعدروض الذاكرين فتمحلاً" ولهذا قال الجنيد رحمة الله: ما أخذنا التصوف عن القيل والقال والمراء والجدال، وإنما أخذناه عن الجوع والسهر وملازمة الأعمال.

فأصولهم في الكتاب والسنة وأفعال السلف قد تكون دقيقة وقد ضرب سيدي أحمد زروق في قواعده أمثلة في القاعدة 33 بقوله: ومثال الصوفي: حديث الرجل الذي استلف من رجل ألف دينار فقال: أبغني شاهداً. فقال: (كفى بالله شهيداً)، فقال: أبغني كفيلاً، فقال: (كفى بالله كفيلاً). فرضي. ثم لما حضر الأجل، خرج يلتمس مركباً فلم يجده، فنقر خشبها، وجعل فيها الألف دينار، ورقعة تقتضي الحكاية، وأبدلها للذى رضي به وهو الله سبحانه فوصلت. ثم جاءه بألف أخرى وفاء بحق الشريعة. أخرجه البخاري في جامعه.

ومنه: (إنما نطعمكم لوجه الله، لا تزيد منكم جزاء ولا شكورا، إننا نخاف من ربنا يوما عبوبا قمطريا)، فجعل متعلق الخوف وهو يوم القيمة مستقلا عن الحامل على العمل وهو وجه الله والله أعلم.

وقد قال رجل للشلبي رحمه الله: كم في خمس من الإبل؟ قال: شاة في الواجب، فأما عندنا فكلها لله. قال له: فما أصلك في ذلك؟ قال: أبو بكر حين خرج عن ماله كله لله ورسوله. ثم قال: فمن خرج عن ماله كله لله فإمامه أبو بكر، ومن خرج عن بعضه فإمامه عثمان، ومن ترك الدنيا فليس بعلم. انتهى وهو عظيم في بابه. اهـ وقد قال الجنيد: "علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنّة فمن لم يسمع الحديث ويجالس الفقهاء ويأخذ أدبه عن المتأدبين: أفسد من اتبعه".

لما كان الإحسان أعلى مرتبة في بناء هذا الدين لا يمكن أن يحلق إليها من لم يمر بمرتبتي الإسلام والإيمان فكيف يبني الدور الأعلى قبل بناء الأرضية، ولهذا ذكره عليه الصلاة والسلام أخيرا لإشعار السامع بأنه لا مطبع في الإحسان لمن لم يتحل بالإسلام والإيمان، وأنه درجة لا متهى وراءها ولا غاية بعد مداها فلأجل ذلك كان التشبيه مشهدا من أحوال القلوب يملئ على النفس أقطارها وتترفع فيه الحجب أستارها "كأنك تراه".

ولكنه عليه الصلاة والسلام، لما رأى عز المقام ووعورة الطريق، نزل بالسامع درجة وأشار له بأن دون ذلك رتبة، لكنها تظل جليلة وهي رتبة العلم. فإن لم تكن مشاهدا فليكن في علمك أنه عليك شاهد. "فإن لم تكن تراه فإنه يراك".

فتتصور أي إقبال وأي بهجة وأي هيبة لمن يرى الباري جل وعلا، بل أي فناء وانمحاء للأكون في هذه الحالة.

فالتصوف كحال ومقام هو ما تقدم، ولكنه كعلم وعمل ومعاملة هو البحث عن طرق الوصول والممارسة بمختلف الوسائل التي سموها مقامات من توبه وصبر وشكر ويقين وصدق ومعرفة وتخليه وتحليه.

فاحلخ نعال الكون جملة وجي
تكن على طول المناجاة نجي
كما يقول الأخضرى في القدسيه.

فأحوال القلوب وحالات النفوس ووارداتها كلها لا يبحث عنها إلا في هذا العلم ولقد أشكل على البعض ممن لم تكمل معرفته ولم يتسع صدره.

فالإسلام المتمثل في أعمال الجوارح يخص علمها الباحث عنها باسم علم الفقه. والإيمان يتعمّن بإسم أصول الدين وكذا الإحسان وضع له الباحثون عن طرق الوصول إلى علمه اسمه التصوف.

البحث عن الإشراق وطريق المحبة:

• حديث حنظلة قال لقيني أبو بكر فقال كيف أنت يا حنظلة قال قلت نافق حنظلة قال سبحان الله ما تقول قال قلت نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالنار والجنة حتى كأننا رأى عين فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الأزواج والأولاد والضيغات فنسينا كثيراً قال أبو بكر فوالله إنا لنلقى مثل هذا فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نافق حنظلة يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذاك قلت يا رسول الله نكون عندك تذكّرنا بالنار والجنة حتى كأننا رأى عين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيغات فنسينا كثيراً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده أن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافتكم الملائكة على فرشكم وفي طرックكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاثة مرات. رواه مسلم.

• حديث أبي بن كعب قال: كنت في المسجد فدخل رجل يصلّي فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل رجل آخر، فقرأ قراءة غير قراءة صاحبه، فدخلنا جميعاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فقلت: يا رسول الله إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل هذا فقرأ قراءة غير قراءة صاحبه. فأمرهما رسول الله فقرأ فحسن رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنهما فوقع في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية، فلما رأى رسول الله ما غشيني، ضرب في صدرِي فقضت عرقاً كأنما أنظر إلى الله فرقاً إلى آخر الحديث. رواه مسلم.

• وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إن رجلاً على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - كان اسمه عبد الله وكان يلقب حماراً، وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - قد جلد في الشراب، فأتي به يوماً فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العن، ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تلعنوه؛ فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسوله أخرجه البخاري. إن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالاحتفاظ له بحق المحبة، (والذين آمنوا أشد حباً لله) وكما يقول ابن جزي: أعلم أن محبة العبد لربه على درجتين إحداهما المحبة العامة التي لا يخلو منها كل مؤمن وهي واجبة، والأخرى

المحبة الخاصة التي ينفرد بها العلماء الربانيون والأولياء والأصفياء، وهي أعلى المقامات وغاية المطلوبات فإن سائر مقامات الصالحين كالخوف والرجاء والتوكل وغير ذلك فهي مبنية على حظوظ النفس.

• وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه : «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين». رواه مسلم

• وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رجلاً من أهل البادية أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة قائمة؟ قال: "ويشك وما أعددت لها". قال ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله قال: "إنك مع من أحببت". فقلنا ونحن كذلك؟ قال: نعم. ففرحنا يومئذ فرحاً شديداً. رواه البخاري

• وفي دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: "وأسألك لذة النظر في وجهك، وأسألك الشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة"

• وفي الحديث : «لি�تني لقيت إخواني فإني أحبهم»، فقال أبو بكر: أليس نحن إخوانك، قال: لا. أنت أصحابي، إخواني الذين لم يروني وآمنوا بي وصدقوني وأحبواني، حتى إني أحب إلى أحدهم من والده وولده لا تحب يا أبو بكر قوماً أحبوك بحبي إليك، قال بلى يا رسول الله قال فأحبهم ما أحبوك بحبي إليك ». (أبو نعيم في فضائل الصحابة عن نافع بن هرمز عن أنس، وأبو هرمز متrok أخرجه أيضاً: ابن قدامة المقدسي في كتاب المتألبين في الله) (1/70، رقم 78).

• وفي حديث أبي بن كعب قال: يا رسول الله، إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: «ما شئت». والحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. المستدرك للحاكم.

هذا الفضاء المترع بالمحبة والمشرق بالأأنوار وهذه الرؤى والأسواق والحب والشفافية ولواعج النفوس والإلهامات والمراءي والأسرار لا يمكن إلا أن يكون لها نظام يجمعها ولا سياق يسوقها بإزاء صور الأعمال مع الاعتراف بحاجة كل منها للآخر، كما لا غنى للجسد عن الروح ولا للروح عن الجسد.

إنها كمالات تسعى إليها الهمم العالية ولها بحث العلماء عن نظام يتمثل في علم له قواعده ومصطلحاته. وكانت أحياناً تأخذ عنوان "الرقائق" أو "الرقاق" كما في البخاري، وأحياناً تحت عنوان "الزهد" كما في كتب السنة القديمة. ثم استقر الاصطلاح على اسم "التصوف"، كما وصل علم الأحكام إلى اسم الفقه.

المأخذ على التتصوف:

فما هي المشكلات مع التتصوف إذا كان أصله الكتاب والسنة؟،
يمكن أن نشير إلى عشر مشكلات:

المأخذ الأول: الاسم الذي أصبح بعض مدعوي السلفية يحاكم به ويحكم عليه دون تأن ولا تؤدة ولا بحث عن المحتوى وقد قدمنا أن الأسماء والمصطلحات لا عبرة بها إلا بقدر دلالتها وأنه تعالى قال: (وعلم آدم الأسماء كلها)، وعليه فإنها لا توصف ببدعة ولا ابتداع. فأكثر أسماء العلوم الإسلامية لم تكن معروفة في الصدر الأول بهذه الأسماء كالفقه، وحتى مصطلحات أهل الحديث من إرسال وغضيل وصححة وحسن ووضع، إلا أن الناس قد تواضعوا عليها واستحسنوها بقدر ما تؤديه من وظيفة البيان وإزالة الإلتباس والإكتنان. فنعمت البدعة هي، كما قال عمر. والأمر لا يحتاج إلى برهان.

ويدخل في المصطلحات ألفاظ كالشيخ والمريد والصالك والمجدوب والوتد، ولها دلالات مقبولة وقد استعمل أهل الحديث لفظ الشيخ في التعديل، كما استعمل الطالب والحافظ والحاكم لتمييز رتب المحدثين.

وكما قال السيوطي: «واعلم أن دقائق علم التتصوف لو عرضت معانيها على الفقهاء بالعبارة التي ألفوها في علومهم لاستحسنوها كل الاستحسان وكانوا أول قائل بها وإنما ينفرهم منها إبرادها بعبارة مستغربة لم يألفوها ولهذا قال بعضهم الحقيقة أحسن ما يعلم وأقبح ما يقال. وانا أورد لك مثلاً تعرف به صحة ذلك، قال في منازل السائرين حقيقة التوبة ثلاثة أشياء: تمييز التقة من العزة ونسيان الجنابة والتوبة من التوبة أبداً، فإذا سمع الفقيه هذا اللفظ وهو التوبة من التوبة استغربه جداً، وقال: كيف يتاب من التوبة وهي عمل صالح وإنما يتاب من المعاصي. وتقرير معناه أن العبد إذا كمل في رجوعه إلى الله لم يلتفت إلى أعماله ولم يسكن إليها بقلبه توبة كانت أو غيرها، فيتوب من سكونه إلى توبته .

المأخذ الثاني: ما اصطلحت عليه هذه الطائفة من تحديد أعداد الأوراد من الذكر والثلاثة أو نحوه، فقد كان موضع إنكار من المنكريين. وقد حدد عليه السلام أوراداً بعد الصلوات وأوراداً مطلقة بالأعداد، وأحياناً مع الإشارة إلى استحسان الزيادة، كقوله: «إلا من زاد على ذلك» في ورد: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك

وله الحمد وهو على كل شيء قدير. ولم يأت أحد بأفضل مما جاء إلا من زاد. أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

وجاء في الحديث: «أحب العمل إلى الله أدومه». وجاء في الحديث: «كان عمله ديمة».

وإن كان قد ورد إنكار عن ابن مسعود، فهو محمول على من شغله عن عمل أوجب منه، وإن فحديث المرأة التي كانت تسبح بالحصى أو النوى، وإقراره عليه الصلاة والسلام لها على ذلك خير دليل على الجواز، وهذا الحديث رواه النسائي وأبي حبان وأبو داود والترمذى والحاكم وقال: صحيح الإسناد عن سعد بن أبي وقاص.

وقد كان لأبي هريرة سلك فيه ألف عقدة.

فكيف يداوم المرء إذا لم يحصل عدد الأذكار بالإضافة إلى تنشيط الهمة وتأكيد الالتزام.

المأخذ الثالث: استعمال السبحة

وقد أجبنا عنه في المأخذ الثاني بما سبق، فلا جرم أن التسبيح في اليad أفضل إلا إذا كانت مصلحة الورد الطويل تقتضي سوى ذلك وقصراري الأمر الجواز.

المأخذ الرابع: الاجتماع للذكر

وقد اعتمد منكروه على إنكار ابن مسعود المردود، وحديث ابن عباس في الصحيح: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله». يريد عليه. ولهذا قال سيدني عبد الله:

ونُصُّهُ الصَّرِيعُ رَدُّ الْمُنْكَرِ
والعذر من خفائه قد ظهرها

وكان عمر يجمع الناس على قارئ، ولم يفعله عليه الصلاة والسلام فدل ذلك على أن الأمر واسع.

وكان أهل الشام يقرؤون جماعة في القرون المفضلة كما يقول الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم».

المأخذ الخامس: مسألة التوسل والتبرك

وهي مسألة كتب فيها الكثير وكادت أن تصل إلى حد التكفير على الرغم من حديث الأعمى، وهو حديث كما يقول الحاكم صحيح على شرط الشيخين، وأقر

الشيخ تقي الدين ابن تيمية بصحته، إلا أنه تأوله وهذا الحديث أصل ولم ينقل عن أحد من الأئمة إنكاره وصح عن الإمام أحمد نصاً التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال المرداوي ولو لم يكن له أصل لكتفاه أنه لا يوجد نص واحد بخلافه إلا عمومات لا تنهض دليلاً.

المأخذ السادس: مسألة الاستغاثة

وهذه هي الطامة الكبرى والكارثة الجلى، فهي من نواقض الإسلام عندهم، حتى ولو كانت برسول الله ﷺ. وقد بنوا عليها قاعدة الاستغاثة بغيره تعالى في ما لا يقدر عليه إلا الله جل وعلا فجعلوا الاستغاثة بالأصنام كالاستغاثة بسيد الأنام؟ مرددين **﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُونَا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾** { الآية } إلى غير ذلك من الآيات التي استشهد بها في غير محلها واستدل بها في غير مدلولها، متناسين حديث صحيح مسلم في ترجمته على عامر بن الأكوع، وقول عمر رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم: «هلا أمتعدنا به يطلب منه أن يطيل عمره». وهنا لطيفة يغفل عنها كثير من الناس، وهي أن مستويات الإسناد مختلفة فال فعل قد ينسد إلى الله عز وجل باعتباره ويسند إلى غيره من المخلوقات باعتبار آخر. كما في قوله تعالى **﴿اللَّهُ يَتَوَفَّ إِلَيْهِ الْأَنفُسُ﴾** وقوله **﴿قُلْ يَتَوَفَّ أَكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ﴾** فأنسد التوفي لله عز وجل تارة وأنسده لملك الموت تارة أخرى. ونظائر هذا في القرآن والسنة كثيرة.

وحدث مالك الدار الذي فيه استغاثة رجل به عليه الصلاة والسلام بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى قائلًا: استسق لأمتك. وذكر ذلك لعمر، وما أنكره ولم ينكره أحد من الصحابة. وهذا الحديث صححه الحافظ ابن حجر والحافظ ابن كثير.

وأنكر بعضهم اطلاع النبي صلى الله عليه وسلم على شؤون الناس في دار الدنيا، مع ما يقتضيه قوله عليه الصلاة والسلام «حياتي خير لكم ومماتي خير لكم» وقد صححه العلماء بما فيهم ابن عبد الهادي مع مذهبـه المعروف. وبالجملة فلو لم يوجد دليل لما كان ذلك دليلاً على المنع بل قصارى ما يكون أنه دليل على رفع الحرج وأنه غير مطلوب.

وكل هذه القضايا تدخل فيما يسمى ببدعة الترك ولنا فيها بحث طويل في كتاب **”مشاهد المقاصد“**، ذكرنا فيه موقف الشاطبي ومن خالقه.

ومن أبرز من اختلف مع الشاطبي شيخه أبو سعيد بن لب الذي ألف كتابا في الرد عليه في مسألة الدعاء جماعة عقب الصلوات لما بلغته فتوى الشاطبي، فأنكر ترك الدعاء إنكارا شديدا، ونسب بذلك للإمام أنه من القائلين أن الدعاء لا ينفع ولا يفيد. ولم يأل أن يقيد في ذلك تأليفا سماه "لسان الأذكار والدعوات مما شرع أدبار الصلوات" ضمنه حججا كثيرة على صحة ما الناس عليه، جملتها أن غاية ما يستند إليه المنكر أن التزام الدعاء على الوجه المعهود، إن صح، أنه لم يكن من عمل السلف، فالترك ليس بموجب للحكم في المتروك إلا جواز الترك وانتفاء الحرج فيه خاصة. وأما تحريم أو كراهة فلا، ولا سيما فيما له أصل جملي كالدعاء. فإن صح أن السلف لم يعملوا به، فقد عمل السلف بما لم ي عمل به من قبلهم، مما هو خير كجمع المصحف ثم نقطه وشكله، ثم نقط الآي ثم الخواتم والفواتح وتحزيب القرآن، القراءة في المصحف في المسجد، وتسميع المؤذن تكبير الإمام، وتحصير المسجد عوض التحصيب، وتعليق الثريات ونقش الدنانير والدرارهم بكتاب الله وأسمائه.

وقال عمر بن عبد العزيز: تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور، وكذا يحدث لهم ترغيبات بقدر ما أحدثوا من الفتور.

وجاء: آفة العبادة الفترة وفي القرآن ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبُرِّ وَالتَّقْوَى﴾.

قلت: هذا جزء من كلام ابن لب، ويضاف إلى ذلك محاريب المساجد والمآذن فقد أحدثت واتفق الناس على جوازها بعد أن اختلفوا في ابتدائهما.

وكذلك تقليد العالم الميت واشتراء كتب الفقه وبيعها أمور اختلف فيها ابتداء وأجمع على جوازها انتهاء، قال في طلعة الأنوار:

والخلف في تقليد من مات وفي بيع طروس الفقه الآن قد نفي. وكذلك كتابة الأحاديث النبوية وإفرادها بالتأليف إنما حدثت في نهاية القرن الأول وبداية الثاني بأمر عمر بن عبد العزيز. ولم تكن إلا صحف يسيرة كصحيفة عبد الله بن عمرو، وكذلك تجرييد المسائل الفقهية كان من محدثات القرن الثاني وأجمع عليه فيما بعد.

ومما استدل به القائلون أن الترك لا يستقل دليلا بأنه يحتمل أوجهها متعددة: أولها: أنه عليه الصلاة والسلام قد يترك شيئا مباحا فلا يدل تركه إلا على رفع الحرج من أجل أنه يعافه مثلا، كتركه لأكل الضب فلما سئل عنه قال : «إنه لم يكن بأرض قومي فأجدني أعاذه». وقدم إليه طعام فيه ثوم فلم يأكل منه قال أبو أيوب - وهو

الذي بعث به إليه - يا رسول الله أحرام هو ؟ قال: « لا ولكنني أكرهه من أجل ريحه ». الترمذى قائلا : حسن صحيح .

قلت: ومن الملاحظ أنه عليه الصلاة والسلام لم يبدأ بالإخبار عن وجوب الترك حتى سئل .

ثانيا: أنه قد يترك بعض المستحبات أحيانا خوفا من أن تفرض على الناس، فقالت عائشة: وما سبج النبي صلى الله عليه وسلم سبحة الضحى قط ، وإنى لأسبحها . وهو في لصحيح .

وقد ذكر الشاطبى هذا الحديث وفيه أن عائشة كانت تصلي الضحى ثمان ركعات وتقول لو نشر لي أبوابي ما تركتها ” وذكر مسألة صلاة التراويح جماعة .

ثالثا: وزاد الشاطبى تفسيرا آخر لترك النبي صلى الله عليه وسلم لبعض المستحبات ، وهو الخوف من أن يظن فيها أحد من أمته بعده إذا داوم عليها الوجوب وهو تأويل متمن حسب عبارة الشاطبى . وقد يترك بعض الصحابة شيئاً أمام الناس كما في حديث أبي هريرة عند مسلم .

رابعا: كانوا يتربون بعض المباحثات خوفا من اعتقاد الناس أنها من القراءات ، كما كان مالك لا يغسل يديه قبل الطعام ، وقال لما قدم له أمير المدينة عبد الملك بن صالح الماء ليغسل يديه قبل الطعام : أما أبو عبد الله (يعنى نفسه) لا يغسل يديه قبل الطعام مع أن مالكا لا يرى بأسا بذلك كما صرخ به في موطن آخر ، ولكن يخاف من لزوم الناس لذلك وكأنه واجب كما قال في المواقفات .

خامسا: قد يترك عليه الصلاة والسلام أمرا لأنه خلاف الأولى ، فيفعل الأولى ويواطئ عليه . وربما فعل المتروك في أوقات نادرة لبيان الجواز وعدم الكراهة فقد صح أنه عليه الصلاة والسلام قدمت إليه ميمونة رضي الله عنها المنديل لينشف به أعضاء طهارته فلم يمسه . وفي رواية : لم يأخذه ، وفي رواية : فرده . فعلق إمام الحرمين في نهاية المطلب على ذلك بقوله : ولو نشف " شخص " لم ينته أمر ذلك إلى الكراهة ولكن يقال ترك الأولى ، وقد روى أنه عليه السلام نشف أعضاء وضوئه مرة . وكان عليه السلام يواطئ على الأولى ويأتي بما هو جائز في الأحايين فيتبين الأفضل بمواطبه والجائز بنوادر أفعاله .

خلاصة: أن أصل هذا الخلاف يدور على أربعة أصول :
أولا: هل البدعة صنف واحد أم أنها أصناف بحسب الدليل الذي يشملها .

ثانياً: هل الترک مع قیام الداعی فی التعبیدیات له دلالة علی النهی أو لا دلالة له علی ذلك

ثالثاً : الفرق بین الموجب وبين المقتضي.

رابعاً: الفرق بین إضافۃ المتروک إلی عبادة محدودة واعتقاده جزءاً مكملاً لها فلا يشرع أم عدم إضافته فيرد إلى أصل الإباحة أو الاستحباب.

ونحن نرى صحة ما ذهب إليه الإمام ابن عرفة من التفصیل بین ما أضيف إلى عبادة بحيث يصبح وكأنه جزء منها فهذا غير مشروع وما سواه.

ونضيف إليه ثلاثة ضوابط كالتالي :

الضابط الأول: أن لا يعطي حکماً شرعاً كالوجوب أو الندب إذا لم يكن مشمولاً بدليل كالأدلة المتعلقة بالذكر الدالة على استحبابه في كل الأحوال فلا يجوز لمن اختر تلك الأذكار أن يقول إنها واجبة مثلاً إلا إذا كانت بنذر.

الضابط الثاني: أن لا يحكم لها بثواب معين، فإن من يحدد الثواب ومقداره هو الشارع، والدليل على ذلك أن الصحابي الذي قال: اللهم ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه... الحديث: لو لا أن الشارع أخبر بعظام ثوابها ما كان لأحد أن يحدد لها ثواباً معيناً. إلا أنه يدل من جهة أخرى على أنه لا حرج على من أنشأ محادم في إطار ما علم من صفات الله تعالى وأسمائه، وأن الأمر ليس فيه توقيف فهو عليه الصلاة والسلام لم يلمه على ذلك، بل أقره وأثنى عليه.

الضابط الثالث: أن لا يشمل المتروك دليلاً نهياً من تحريم أو كراهة.

تلك هي الضوابط الأربع التي سبق عن ابن عرفة شيخ المالكية بعضها، فمن ترك شيئاً احتياطاً فلا لوم عليه، ومن فعل القربات بضوابطها استكتاراً من الخبر، فهو على خير، ولا ينبغي أن ينكر البعض على البعض في مواطن الاجتهاد، بل التشنيع والتبديع «وإنما الأعمال بالنيات».

وفي المسألة مجال فسيح وميدان واسع ولو لا خوف الإطالة والخروج عن الغرض لذكرنا من مسائل الصحابة والسلف ما يدل على سعة الأمر فعلاً وتركاً وإنما وإنما، والله سبحانه وتعالى أعلم.

المأخذ السابع: مسألة الشيخ:

وهذه مسألة عند العلماء لا تخرج عن مسألة الصحبة المدلول عليها بحديث سلمان وأبي الدرداء حيث بات معه فكلما قام للصلوة أمره بالعوده للنوم وذلك

حين بلغه أنه يطيل القيام والصيام، وقد بنى الفقهاء على هذا الحديث مسألة جواز إفطار الصائم في التطوع بأمر الشیخ. قال في المختصر (إلا لأمر كوالد وشيخ وإن لم يحلفا). وفي الشرح «وأمر شیخ الصوفية أولی». وكما أن الفقه يحتاج إلى شیخ لإرشاد الطالب إلى مواطن الاشتباہ فكذلك حال علم أحوال النفوس وأمراض القلوب يحتاج فيه إلى شیخ قد عرف أحوال التقوی وسبر حالات النفوس وخبرها.

المأخذ الثامن: زيارة قبور الصالحين والسفر لها:

المعروف أن زيارة قبور الصالحين من القضايا التي يهتم بها الصوفية وأن جمهور علماء الأمة على جواز ذلك، بل واستحبابه لدخوله في الأمر العام وأنه لا فرق بين الركوب والمشي وأن حديث لا تشد الرحال خاص بالمساجد فيمن نذر أن يصلى في مسجد فلا يلزم الانتقال إليه إلا أن يكون أحد هذه المساجد المنصوص عليها.

قال الحافظ ابن الجزري: إن قبور الأنبياء والصالحين مظنة استجابة الدعاء. وإن هذه الزيارة يجب أن تتسم بالآداب الشرعية من خشوع ودعاء لهم وللمسلمين دون أبهة جماعية ، حتى لا يقع الزائر في النهي المشار إليه في قوله "لا تخذوا قبري عيدا" رواه أبو داود في سننه ولهذا قال أحد علمائنا:

إصلاح قلبك ونفع الميت والاعتبار انو لدى الزيارة، أما زيارة الضريح النبوی الشريف، فقد اتفق الأئمة الأربع على الترغيب فيها واستحبابها وقرنوها بالحج والعمرة، وهذا الاتفاق نص عليه الوزير ابن هبيرة الحنبلی وغيره.

المأخذ التاسع: مسألة الوجد والتواجد:

وهي مسألة ضبطها محققو الصوفية كسيدي أحمد زروق. فالوجود عند القوم يرتبط بحال المتواجد، فإن كان مغلوبا على أمره فهو معفو عنه، وإن كان سوى ذلك فعلى الراسخين أن يوجهوه.

ولهذا اشترط بعضهم الغلبة حيث يقول الأخضری في القدسية:

| | |
|-------------------------|-------------------------|
| عمداً بذكر الله لا يليق | والرقص والصراخ والتصفيق |
| الذكر بالخشوع والوقار | وإنما المقصود بالأذكار |
| إلا مع الغلبة القوية | وغيره حرکة نفسیة |

وهذه الغلبة واقع، وتوجد حكايات كثيرة في كتب القوم عن الكبار في هذا الشأن.

وذكر شيخ مشايخنا شيخنا علي بن آف في نظمه "هداية المغتر وكفاية المعتز" بأنَّ
التوارد يغلب على الضعف حين تغشهم الواردات، وذلك بقوله:

| | |
|----------------------------|----------------------------|
| الداعمُ الباطلُ والعوائدا | من حضرة القهار سم الواردا |
| فالوارداتُ كالرياح والقلوب | مثل الغصون والثمار والحبوب |
| فالرجلُ الضعيفُ غصناً يفرع | لكلِّ واردٍ عليه يقع |

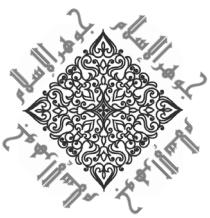
المأخذ العاشر: دعاوى الكشف والاطلاع على الأسرار والخوارق

وهذا الأمر في أصله لا إشكال فيه، فكرامات الأولياء أمر يعتقده أهل السنة وهي دليل على الخير وقبول العمل وقد يحجب عنها أناس فينكرونها «وقد وقع من ذلك للسلف الصالح شيء الكثير». أما ما يقع من الدعاوى فهو مردود على أهله ومحاكم بأصله وقد أنكره القوم أشد إنكاراً . فعالم الغيب بالأصل هو الباري جلت قدرته ولكنَّه يعلّمه لمن يشاء من عباده من نبي مرسل وملك وولي والكرامات لا تخالف مأثوراً ولا تعارض مشهوراً، وكل ما يخالف فهو مردود، وعن حياض العارفين مطرود، قال ابن عطاء الله : (ما من حال يتحققه ذو الحال إلا ويدعيه ذو المحال ليهلك هلك عن بيته ويحيى من حي عن بيته).

وخلاصة القول: إن الصوفية ليست ديناً خاصاً، وإنما هو نوع من التخصص الوظيفي (وذروا ظاهر الإثم وباطنه) لمعالجة باطن الإثم وأحوال القلوب طبقاً للكتاب والسنة واجتهد الأئمة واستحسانات الشيوخ.

وهنا أوجه دعوة للصوفية والفقهاء لتجديدها العلم بإيضاح فضائله، وتفصيل مسائله، ووضعه في صحيح إطاره وإظهار ما أصدق به " مما ليس داخله في حقيقته، ولا موافقاً لطريقته. وبذلك تحيى القلوب وتشرق الأرواح، وفي ذلك حياة الدين، لأنَّ إحياء علوم الدين كما سماه شيخ التصوف الرياضي أبو حامد رحمة الله تعالى ورضي عنه، وأنَّ تعقد ندوات لتجديد التصوف. وهذا التجديد المنشود يبدأ بإزالة الجفوة بين الفقه والتتصوف فهما صنوان و"شقيقان في الدلالة على أحكام الله تعالى وحقوقه" على حد عبارة سيدي أحمد زروق في القاعدة 20 من قواعد التصوف.

فالتصوف حجة على الصوفي وليس الصوفي حجة على التصوف، وفقكم الله لخير الدارين وأفضل النجدين وجمع لكم بين الحسينين.



الإسلام وأخلاقيات المهنة

بِقلمِ فضيلةِ الأَسْتَاذِ الدَّكْتُورِ أَبُو بَابَةِ الطَّاهِرِ صَالِحِ حَسِينِ،
رَئِيسِ جَامِعَةِ الرِّيْتُونَةِ سَابِقاً، عَضُوِّ مَجْمُوعَ الْبَحْثِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

إنّ علاقَةَ الإِسْلَامِ بِالْأَخْلَاقِ وَالْقِيمِ الْعُلِيَّاً علاقَةٌ مُوضُوعَيَّةٌ وَثيقَةُ التَّرَابُطِ وَالتَّلاحمُ، حتّى أنّ النَّبِيَّ ﷺ جعلَ مُهمَّةً بعثته وظيفَتَه السَّاميَّة إِتمَامَ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، فأضحت الأخلاقُ صبغَةُ الإِسْلَامِ وسِمةُ حضارَتِه المُتميَّزةِ، وقد أدركَ ذُوو الْفِطْرِ السَّلِيمَةَ هذه الحقيقةَ منذ انبلاجِ فجرِ الإِسْلَامِ، فحينما بَعَثَ أَبُو ذَرٍّ الغَفارِيُّ أَخَاهُ أَنِيسًا إلى مَكَّةَ لاستطلاعِ خبرِ نُبُوَّةِ الرَّسُولِ ﷺ، أَخْبَرَهُ: «إِنَّهُ رَأَى رُجُلًا يَأْمُرُ بِالْخَيْرِ وَيَنْهَا عَنِ الشَّرِّ⁽¹⁾»، وفي روایةٍ: «إِنَّهُ رَأَهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ⁽²⁾».

والنَّبِيُّ ﷺ الذي هو قُدوةُ الْمُسْلِمِينَ وَأُسُوْثُهُمْ أَدَبُهُ رِبِّهِ، وأمرَهُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ «خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ» [الأعراف 199]، فكان خُلُوقُهُ القرآن يرضى بِرضاه ويَسْخَطُ بِسَخَطِهِ، وكان عليه الصلاة والسلام كثيرَ الدُّعَاءِ: «وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ⁽³⁾»، كما كان يُرِدُّ عَلَى مسامعِ أَصْحَابِهِ تربيةً لَهُمْ وَتَعْلِيمًا:

(1) - سير أعلام النبلاء: 2/ 53.

(2) - صحيح البخاري - متن فتح البار - مناقب الأنصار - باب إسلام أبي ذر: 7/ 210 (3861). صحيح مسلم فضائل الصحابة - باب من فضائل أبي ذر: 4/ 2474 (1923).

(3) - الإحسان بترتيب ابن حبان - باب صفة الصلاة - ذكر البيان بأنَّ المصطفى كان يدعوه.. بعد التكبير لا قبله: 3/ 132 (1771).

«أكمل الناس إيماناً أحسنهم خلقاً»⁽¹⁾. ومصادر الإسلام الكبرى، ومدونات السنة بلا استثناء حافلة بجموع الأخلاق تحت عناوين مختلفة، كحسن الخلق، والبر والصلة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والفضائل، وفضائل أصحاب النبي ﷺ والأداب...

والأخلاق لعظيم مكانتها في الإسلام شغلت حيزاً كبيراً من اهتمامات العلماء فجعلوا منها علمًا قائماً بذاته، وقد عرّفوه بأنّه: «علم بالفضائل وكيفية اقتنائها لتحلى النفس بها، وبالرذائل وكيفية توجيهها لتخلي عنها»⁽²⁾. وقد ألفوا في الأخلاق منذ العصر الأول أربع المصنفات، فكتب الشيخ أبو بكر محمد عبد الله الوراق (ت 249هـ) «أخلاق النبي ﷺ» وكتب ابن أبي الدنيا (ت 281هـ) «الحلم»، كما صنف ابن حبان البستي (ت 354هـ) «أخلاق النبي ﷺ»، وألف الإمام أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت 360هـ) «مكارم الأخلاق»، وأما أبو بكر محمد بن الحسين الأجرري (ت 360هـ) فألف «أخلاق حملة القرآن» و«أخلاق العلماء»، «وأخلاق أهل البر والتقوى»، وصنف أبو محمد عبد الله بن جعفر بن حيان (ت 369هـ). «أخلاق رسول الله ﷺ» وقد اختصره الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشى (ت 520هـ). ومن أوائل المؤلفين في الأخلاق أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255هـ)، حيث صنف «تهذيب الأخلاق»، «وأخلاق الملوك»، كما ألف في الأخلاق الراغب أبو القاسم الحسين بن محمد الإصفهاني (ت 425هـ تقريباً)، والشيخ الرئيس أبو علي الحسين ابن سينا (ت 427هـ)، وفخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت 606هـ)، وعَضْدُ الدِّينِ الإيجي (ت 756هـ)، أما حجّة الإسلام أبو حامد الغزالى (ت 505هـ) فصنف «أخلاق الأبرار والنجاة من الأشرار»...

والخطر الكبير على أخلاق أجيالنا الناشئة، هو هذه الغارات الظالمة المتتابعة من العلمانيين الذين يسعون بإلحادهم، وما تسرّبوه من فلسفات ضالة، أن يضعوا قيماً وأخلاقاً موازية قائمة على ما يسمونه حرية الضمير، حتى يشعّبوا على الإسلام ويفصلوا الدين عن الدولة، ويعيّدوه قيماً للإيمان والخير عن حياة الناس في إدارتهم ووزاراتهم ومؤسساتهم ومعاملتهم ومصانعهم ومزارعهم... وإن ما تُعُج به وسائل

(1) - الإحسان بترتيب ابن حبان: 1 / 350 (479) - سنن الترمذى - الرضاع بباب ما جاء في حق المرأة على زوجها: 3 / 457 (1162) - سنن أبي داود - كتاب السنة - باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه: 4 / 220 (4682).

(2) - كشف الظنون: 1 / 35.

الإعلام، ووسائل التواصل الاجتماعي من أخبار التسيّب، وما يجأر به تُواب الشَّعبِ في البرلمانات ويكشفونه في مجالسهم من تفشي الفساد في دوليب الدولة المالية والتجارية والصناعية، والصحية وحتى العلمية... وما تُعاني منه ميزانية الدولة من عجزٍ لتفشي السرقات والخيانة والغش، يعود كل ذلك إلى إبعاد الأخلاق الإسلامية ومعادة القيم الإيمانية بل من هؤلاء العلمانيين المُتَفَقِّدين من لا يتورّع عن الجُهْر بمعاداة القرآن ومناوأة السنة المشرفة، فهم هؤلاء الملاحدة المُتَغَرِّبين على دوليب الدولة ووضعهم كُلُّ ما هو إسلام وأخلاق إسلامية وراء ظهورهم، واحتکامهم لأهوائهم الطائشة وجشعهم وأثانيتهم وأثريتهم المقيتة، حيث أباحوا لأنفسهم نهب مقدرات الدولة وقضم ميزانيتها وتهريب أموالها هو ما أدى إلى الإفلاس، واضطراب النظام، وانتشار البطالة، وتفشي الفقر والخصاصة.

والأخلاق الإسلامية الشاملة، المبثوثة في كتاب الله العزيز، وسنة الرّسول الأعظم ﷺ وأثار الصحابة الأبرار رضي الله عنهم، تعالج كُلَّ نشاطات الفرد والمجتمع والدولة، وتلبّي حاجات البشر المتنوعة.

إنّ مرجع الفساد في المؤسسات والإدارات الحكومية يعود إلى إسناد الوظائف لغير الأكفاء والمُؤَهَّلين، وإهدائها للأولياء والأتباع، وهو خطأ حذر منه الرّسول ﷺ، فحينما سأله أبو ذر الغفارى الإمارة؟ قال له بكل صراحة وشفوف ومَحَبَّةً ونُصْحَّ: «إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ حَزِيرٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخْذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَى إِلَيْهِ فِيهَا»⁽¹⁾. كما أن للرسوة دوراً كبيراً في تفشي الفساد، وقد حذر منها النبي ﷺ أشد التحذير فقال: «لعن الله الراشي والمُرتشي في الحُكْمِ»⁽²⁾، كما قال: «الراشى والمُرتشى في النار»⁽³⁾، وحذر من هدايا الحُكَّام والقُضاة والمَسْؤُولين فقال: «هدايا العُمَالِ عُلُولٌ»⁽⁴⁾... وممّا عمت به البلوى وانتشار النار في الهشيم نَهْبُ الأموال العامة وتحويلها إلى كلام مباح، وتهريبها والتلاعُب بالصفقات العمومية فحتى قوت الناس ودواؤهم لم يسلما من السرقة والتهريب، وهو أمر قال فيه الرّسول ﷺ قوله الحاسمة منذ حوالي خمسة عشر قرناً: «إِنِّي رَجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ،

(1) - سير أعلام النبلاء: 2 / 58.

(2) - الإحسان بترتيب صحيح ابن حيّان - باب الرّشوة: 7 / 265 (5053).

(3) - مجمع الزوائد - باب في الرشا: 4 / 201 - 202.

(4) - مجمع الزوائد - باب هدايا الأمراء: 4 / 203.

فلهم النّار يوم القيمة»^(١)، واعتبر الاستيلاء على مِلْيَم واحد من الأموال العامة سرقةً وغلوا لا يُحاسِبُ عليه: «يا أيها الناس من عمل منكم لنا عملاً، فكتمنا منه مخيطاً فما فوقه، فهو غال يأتي به يوم القيمة»^(٢).

ولا خلاص للبلاد الإسلامية التي ارتكبت في هُوَةِ الفساد الذي يكاد يُودي بها إلى الإفلاس، إلا بالعودة إلى قيم الإسلام والتزام أخلاقه التي لم تترك شاردة ولا واردة في شؤون حسن الإدارة والتسيير وصحة التصرف في أموال الدولة ومواردها... إلا نبهت إليه. فقد حمل الإسلام العامل والموظف والمدير والوزير، والرئيس... مسؤولية ما استرعى عليه فقال: «ألا كُلُّكُمْ راعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُلٌ عن رعيته»^(٣). ودعا إلى العدل وحدّر من الجور والظلم، وغمط الناس حقوقهم فقال: «الظلم ظلمات يوم القيمة»^(٤)، وألزم العاملين في أجهزة الدولة وفي كل ميادين الحياة الصدق وتجنب الكذب: «عليكم بالصدق... وإيّاكُمْ والكذب»^(٥). وقال تعالى: «وَلَا تَقْنُفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلٌ لَا

﴿ [الإسراء 36] ﴾

وحدّر من تخرّصات الفسقة والمُنافِقين، فقال: «يا أيها الذين آمنوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ يُبَشِّرُ فَتَبَيَّنُوا»^(٦) [الحجرات 6]. كما حدّر من النميمة والغيبة والوشایات الكاذبة فقال: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّانٌ»^(٧). ونظرًا لما للتّؤدة والتّأني من آثار حسنة في سلامه اتّخاذ القرارات، دعا الرّسول ﷺ للتّؤدة فقال: «إِذَا أَرَدْتَ أَمْرًا فعليك بالتأدة حتّى يجعل الله لك مَحْرَجاً»^(٨).

وعلى المسلم الرجوع باستمرار إلى مصدر عِزْنا وصلاحنا فلا حنا ونصرنا كتاب الله الذي يهدي للتّي هي أقوم، وسنة الرّسول الأعظم التي تقي من الضلال عليه السلام وأثار

(١) - صحيح البخاري - متن فتح الباري - الخمس - باب قول الله تعالى: «فإن لله خمسة وللرسول: 251 / 6 (3118).

(٢) - الإحسان - باب الرشوة: 7 / 266 (5055). صحيح ابن خزيمة - جماع أبواب ذكر السعاية: 4 / 52 (2338). سنن أبي داود - الأقضية - باب في هدايا العمّال: 3 / 300 (3581).

(٣) - صحيح البخاري - متن فتح الباري - الأحكام: 6 / 261 (6719).

(٤) - الأدب المفرد: 140 - صحيح البخاري - متن فتح الباري - المظالم - باب الظلم ظلمات يوم القيمة: 5 / 120 (2447).

(٥) - صحيح مسلم - البر - باب بحق الكذب: 4 / 2013 (2607).

(٦) - صحيح البخاري - متن فتح الباري - الأدب - باب ما يكره من النميمة: 10 / 487 (6056) - والنّما: الذي ينقل حال شخص لغيره بغية الإفساد، والمغتاب ذكره الناس في غيبتهم بما لا يرضيه.

(٧) - الأدب المفرد: 259.

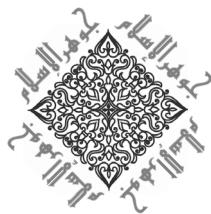
الصحاباة الأبرار التي تنير لنا الكثير من سبل الاستقامة والرشاد. ولا ينبعي أن يغيب عن ذهاننا الأئمّة القائل: «إِنَّ الدِّينَ الْمُعَالَمَةُ»، وعليها إحياء الواقع الديني وتنميته في النفوس فهو الحارس اليقظ دون الانزلاق إلى الخيانة والكذب والغش والفساد، والتفریط في حقوق الوطن والمواطن. مع رفض المبدأ الميكافيلي الخطير «الغاية تُبرّر الوسيلة»، فالإسلام يفرض شرف الغاية والمقصود وشرف الوسيلة المؤصلة إليهما، وقد حذرنا الرسول صلّى الله عليه وسلم من الانسياق وراء أهواء النفس الأمارة بالسوء فيبيّن في حديثه الذي رواه لنا سيدنا عمّار بن ياسر، وسيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «الحلال بينُ الحرام بينُ وبينهما مشتبهاتٌ فمن اتقاها كان أَبْرَأَ لِدِينِهِ وَأَعْرَضَهُ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ أَوْ شَكَ أَنْ يَقَعَ فِي الْحَرَامِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ»⁽¹⁾.

وحتى يتخرج جيل مُنضبِطٌ مُلتزمٌ بأخلاق الإسلام ويحافظ على مكاسب الوطن وحقوق المواطن وشرف المهنة علينا الإلتحاق على الأأخلاق في مناهج تعليمنا، وتربيّة ناشئتنا على قيم الإسلام الرفيعة، فهي وحدها تحرّك السواكن وتنشط الهمم وتجعل النزاهة والصدق والإخلاص خلقاً متّاصلاً لا يحيطُ عنه المسلم، مهما استشرى شر العلّمانية المُتَهَوّرة، ومهما تفاقام عدوان الإعلام المُتَفَلّت من قيم الأخلاق والدين، والساعي إلى تغييب الوعي، ونشر الرذاء في ربوع الوطن.

قال الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله (اين المسلمين من الاستفادة من مؤتمرهم الأكبر الحج الى بيت الله الحرام).

(ان أية أمة من الأمم الدنيا لم تحلم بمثل ما جعله الله ركتنا من اركان ديننا وشعيرة من شعائره المقدسة . تلتقي اجناسها واصنافها والوانها في صعيد واحد هو صعيد الطهر والتجرد وعلى مستوى واحد هو مستوى العبودية المطلقة لله وحده في شهر حرام وبلد حرام اثره الله بان يكون مسقط راس سيد الرسل عليه السلام ومنيع الوحي السماوي المتفجر بالقرآن وشريعة القرآن. فكل ما يحيط بالواهفين على هذا المؤتمر العظيم يجعلهم يرتفعون عن تلك التصورات الأرضية السخيفة وعن ذلك الاخلاص الى الحيوانية البلياء وainما توجهوا وحيثما التفتوا فلا يرون ولا يسمعون الا ما يعمق ايمانهم ومثلهم العليا ويربطهم بباب القوة والخلود).

(1) - مجمع الزوائد ومنيع الفوائد، للحافظ نور الدين الهيثمي: 76 / 4 مكتبة المعارف 1406 هـ / 1986 م - بيروت - لبنان.



القرآن هو النور الإلهي الذي أضاء العالم كله في فترة زمنية قصيرة

باقلم: فضيلة الشيخ الدكتور أحمد الطيب - شيخ الأزهر

لعل ما يمر به عالمنا اليوم من ظروف قاسية يشجعنا نحن المسلمين على التمسك بالاحتفال بذكرى نزول القرآن الكريم هذا النور الإلهي الذي أضاء العالم كله في فترة زمنية قصيرة مدهشة قضي فيها على الفوضى والاضطراب وترسخ فيها نظام أخلاقي رفيع المستوى عبر فتوحات إسلامية غيرت مجرى التاريخ الإنساني، وفتحت أبواب التقدم على مصارعها وفي مختلف الاتجاهات، إذ لم تمض سنوات قلائل على وفاة النبي ﷺ حتى انهارت أمام فتوحات المسلمين أعتى إمبراطوريتين كانتا تقاسمان الشرق الأوسط وتسيطر على كل ركن من أركانه وأصبحت أراضيهما في العراق والشام ومصر وشمال أفريقيا أرضاً إسلامية حتى يومنا هذا، ذلكم أن هذه الفتوحات لم تكن فتوحات استعمارية تعتمد أساليب النهب والسيطرة وسياسات الهيمنة والتبعية وترك البلاد خراباً يباباً حتى ما جاء الموعد المحتموم الذي لا مفر منه حمل الاستعمار عصاه ورحل، نعم لم تكن الفتوحات الإسلامية من هذا القبيل، قبيل السيطرة على الشعوب والتعامل معها بغطسة القوة والسلاح، ولكنها كانت فتحاً جديداً من حياة عارمة تتدفق علماً وعدلاً وحريةً ومساواةً في عروق تلك الشعوب الخائرة القوى.

وكان من المنطق أن يقف المؤرخون وعلماء الحضارات قدّيمـاً وحدـيثـاً موقفـاً منـدـهـشـاً منـأـمـرـ هـذـهـ الـظـاهـرـةـ، وقد استـعـصـى تـفسـيرـها علىـ كـلـ حـسـابـاتـ

القوة ومنطق المال وقوعة السلاح ودمار الحروب، ومن هؤلاء العلماء من نظر تحت قدميه وهو يحاول تفسير سر انتصارات المسلمين، وبما لا يتفق مع فلسفة هذه الفتوحات، بل بما يتناقض مع تعاليم القرآن الذي حمله الفاتحون وهم يبلغونه للناس دعوة خالصة للسلام والتعاون، وتجنب القتال ما أمكن، وهم في ذلك ينفذون تعليمات نبيهم ﷺ وأوامره التي يقول فيها: (أيها الناس لا تمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية) ولكن إذا ما أصبح القتال ضرورة مفروضة فلا مفر من مواجهة المعادي المقاتل إذالم تكن إلا الأسنة مركباً فلا رأي للمضطرب إلا ركوبها.

غير أن كثيراً من علماء الغرب فطن إلى السبب الحقيقي في ترحيب الشعوب بهذه الفتوحات، واستقبال المسلمين استقبال المخلصين المنقذين، وقالوا: إن السبب الصحيح لتفسير هذه الظاهرة المدهشة هو القرآن وما دعا إليه الناس من ضرورة تطبيق قيم العدل والمساواة وتحريم الظلم وحرية الاعتقاد وإحلال مبدأ التعارف بديلاً لمبدأ التزاعات والصراعات والحراب، وغير ذلك من القيم الضامنة لحياة الناس حياة سعيدة فاضلة.

ومما يلفت النظر هنا أن علماء الغرب المعاصرين من ذكر المسلمين بأن القرآن الكريم كان الباعث الأولي لحضارة الإسلام في القرون الوسطى، ولا مفر للMuslimين اليوم إذا ما أرادوا صنع حضارة إسلامية جديدة تشبه في روعتها حضارتهم السابقة لا مفر لهم من أن يستلهموا القرآن، من هؤلاء الدكتورة لورا فيشيا فاغيليري الأستاذة بجامعة نابولي بإيطاليا والعالمة العميقية المدققة في علوم الإسلام وتتراث المسلمين والباحثة المتخصصة في دراسة أسباب تأخر المسلمين وتفسخ المجتمع الإسلامي في العصور الحديثة، تقول هذه الأستاذة الجليلة: «إلى الكتاب العزيز - أي القرآن - الذي لم يغيره قط لا أصدقاوه ولا أعداؤه لا المثقفون ولا الأميون ذلك الكتاب الذي لا يليه zaman، والذي لا يزال إلى اليوم كعهده يوم أوحى الله به إلى الرسول الأمي البسيط آخر الأنبياء، إلى هذا المصدر الصافي سوف يرجع المسلمون حتى إذا نهلوا مباشرة من معين هذا الكتاب المقدس فعندئذ يستعيدون قوتهم السابقة بلا ريب».

وحتى لا يظن بها أحد أنها تذهب في ذلك مذهب القرآنين من السنة فإنها ما تثبت أن تؤكد أن السنة ضرورة لفهم القرآن الكريم فهما كاملاً صحيحان وأن آيات القرآن الكريم إذا أخذت في معزل عن الأحاديث النبوية فإنها تفقد أثرها أو

قيمتها في تنظيم حياة إنسانية ب مختلف أهدافها وإمكاناتها، وأن هذا هو السبب في أن القرآن قد أتبع وأردد وأكمل بمجموعة من الأحاديث المأثورة المسندة إلى رسول الإسلام، وكأنها ترد على حملات الهجوم على السنة النبوية ومحاولات التهويين من شأنها في نفوس المسلمين ليسهل بعد ذلك التهويين من شأن القرآن نفسه والعبث بتشريعاته وأحكامه، تلكم الفتنة التي تطل برأسها اليوم وهي ليست جديدة ولا بنت هذا العصر وكيف لا والنبي ﷺ نفسه حدثنا من أخبارها وحدرنا من ضلالها وضلال متعهديها من خمسة عشر قرنا من الزمان، وفي أحاديث كثيرة عدلت من معجزاته عليه ﷺ وإخباره عن غيوب لم تكن على عهده صلوات الله وسلامه عليه.

هذا وتبعي الإشارة إلى أن النبي الإسلام وإن كانت له معجزات ودلائل حسية عديدة على صدق نبوته إلا أن القرآن الكريم يمثل من بينها المعجزة الكبرى، فقد كان معجزة في حياته ﷺ، كما ظل معجزة من بعده وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، كان معجزة في حياته حين فاجأ فرسان الكلمة من شعر ونشر بكتاب يعلو في كلماته ونظم آياته على كل إمكاناتهم العلمية وقدراتهم الأدبية، كتاب ذي أسلوب عجيب تحداهم به وطلب إليهم أن يأتوا بمثله أو بما يقرب منه، وقد أعلنه عليهم رجل أمي لا عهد له بالقراءة ولا بالكتابة، ولا بالعلم ولا التعلم، وهم يعلمون عنه ذلك علم اليقين، فقد ولدوا وتربي وعاش معهم وتحت أسماعهم وأبصارهم وتلا على أسماعهم حجة الله عليهم بأنه الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب، تلا عليهم: ﴿وَمَا كُنْتَ تَئْلُمُ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُطُهُ يَمْيِنِكَ إِذَا لَأْرَتَابِ الْمُبْطَلُونَ﴾ (العنكبوت: 48) وتلا عليهم: ﴿فُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَيْسْتُ فِيْكُمْ عُمْرًا مِّنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (يوحنا: 16) ولم يكتف بإعلان هذه الحجة عليهم بل تقدم خطوات في سبيل إظهار عجزهم وإزاحة العوائق التي تصدهم عن الإيمان بهذا الكتاب والاتفاع بما فيه. فتحداهم أن يأتوا بمثله ولم يعجزوا تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله، ولما عجزوا تحداهم أن يأتوا بثلاث سور مثله فعجزوا، وأخيراً تحداهم أن يأتوا بمثل سورة واحدة منه فعجزوا، ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأُتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مُّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة: 23) ثم أغلق عليهم هذا الباب وقال لهم: إن ربى يأمرني أن أبلغكم بأنكم لم ولن تستطعوا بذلك حتى لو استطعتم بالإنس والجن متعاونين متضامنين يظاهروها

بعضكم بعضاً، ﴿قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمُثْلِ هَذَا الْقُرْآنَ لَا يَأْتُونَ بِمُثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِيَعْضُمْ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء 88) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحَجَارَةُ أَعْدَّتْ لِلْكَافِرِينَ - (البقرة : 24) .

ووجه آخر من وجوه إعجاز القرآن الكريم نلم به على عجل في ذكرى نزول هذا النور المبين هو إخباره بغيوب مجھوله تنتهي إلى الماضي البعيد وغيوب أخرى تنتهي إلى مستقل مجھول لا يعلم الناس عنه شيئاً، وهو ﷺ يتلو عليهم من أمر هذه الغيوب وكأنه يراها أماماه رأي العين، فمن النوع الأول ما حدثهم به عن الله تعالى من أخبار الأمم السابقة، وقصص الأنبياء، والأماكن وما دار فيها من أحداث ثم يقول الله تعالى له: ﴿ذُلِّكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقَوْنَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (آل عمران : 44) ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىَ الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ * وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَنَطَّا وَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ * وَمَا كُنْتَ ثَاوِيَا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لَتُنْذَرَ قَوْمًا مَا أَنَّا هُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (القصص : 44-46) .

أما ما أخبر به من عيوب تنتهي إلى المستقبل فمن أمثلته قصة أبي لهب، وكان من أشد الناس إيذاء له ﷺ وحرضاً على صرف الناس عنه وعن دينه، فنزل القرآن يبشر النبي ﷺ بأن شيئاً من ذلك لا يضره، وبأن أبو لهب وأمرأته صائران إلى النار، ولن يغن عنه ما كسبه من مال وجاه وأهل وولد وصداقة وزعامة، وأنه سيخسر ذلك كلـه، نزل هذا الوعيد بمكة، وسمعه أبو لهب وزوجه، ثم كان أمرهما ونهايتهما على ما قاله ﷺ وعلى ما أخبر به.

ومن هذه الغيوب ما أخبر به القرآن من أمر غلبة الروم وانهزامها أمام جحافل الفرس في بلاد الشام وفلسطين، وسرور المشركين بانتصار الفرس على الروم؛ لأن الفرس وثنيون مشركون مثلهم، ولأن الفرس كانوا شديدي العداء لل المسلمين ولرسولهم ﷺ في الوقت الذي حزن فيه المسلمين لهزيمة الروم، لأن الروم أهل كتاب، وأقرب إلى دين المسلمين وما إن حدث ذلك حتى نزل القرآن موسياً للمسلمين، ومبشراً لهم بأن الروم سيتتصرون على الفرس في بضع سنين وتحديداً في سبع سنوات وانتصر الروم وكان كما أخبر النبي ﷺ وكان ذلك سبباً في دخول كثيرين في الإسلام.

سيادة الرئيس، الحفل الكريم، إن هذا الكتاب الكريم الذي عرضنا جانباً يسيراً من جوانب معجزاته التي تشبه بحراً لا ساحل له، هذا الكتاب وقد تكفل الله بحفظه ووعد به في متن آياته فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩) هذا الكتاب لا ينال من قدسيته عبث الصغار وأمثالهم ومن ينتمون إلى الأحزاب السياسية المتطرفة، وفي بلدان تحتاج إلى التأدب بأدب القرآن، والخلق بأخلاقه حتى يتأهل وعيهم لإدراك الهوة السحيقة بين حرية التعبير وحرية البداء والتطاول، وبين ثقاقة الحضارة وثقافة الغابة، وبين حرية الإنسان المهدب المتحضر وفوضى الإنسان الوحشي المنفلت من كل القيود.

إن أمثال هؤلاء الصغار كانوا وسيكونون ما كان في الدنيا كافر ومؤمن، وما دام هناك جند للرحمٰن وعصابة للشيطان، والذي لا يرتاب فيه المسلمون هو أن هذا المصحف الشريف سيبقى في عليائه كتاباً إلهياً هادياً للإنسانية كلها، وأنه لن ينطفأ له نور، وكيف وقد تعهد الله بإتمامه ولو كره الكافرون ولو كره المشركون ولو كره المجرمون.

هذا وتحية من قلب كل حر أبي إليك شعب فلسطين البطل، وتقديراً كبيراً لصمودك وتصميمك على حراسة المسجد الأقصى وحمايته والدفاع عنه، ودعاءً من أعماق قلوبنا في هذه المناسبة المباركة أن يحقق الله الحق وأن ينصر أهله وأعوانه، ويبطل الباطل ويخذل أهله وأشياعه.

من مؤلفات فضيلة الشيخ صالح العود

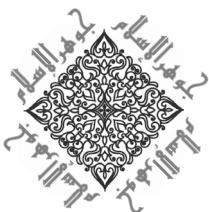
* أحکام الذبائح في الإسلام و عند أهل الكتاب وهو هدية المؤلف (مشكوراً) لقراء مجلة جوهر الإسلام مع هذا العدد.

* منظومة السنّا في الدعاء بأسماء الله الحسنى للإمام الفقيه احمد الدردير رحمه الله اعتنى بها وشكّلها وقدم لها الشيخ صالح العود (وهي أيضاً هدية مع هذا العدد)

* السيادة النبوية عند ذكر اسمه الشريف مشروعه بالكتاب والسنّة وأقوال العلماء.

* 20 فنوا شرعية في تحريم كتابة السور والآيات القرائية بالحرروف اللاتينية.

. وللشيخ صالح العود حفظه الله وسدد خطاه عشرات الكتب الأخرى التي تجاوزت المائة كتاب (ما شاء الله) تضمن عناوين ما صدر منها إلى حد الآن ثبت اعده افاده للباحثين والدارسين وعموم القراء.



النشوز والمشاكستات بين الأزواج⁽¹⁾ في العصر الحديث

بقلم: صالح العود / فرنسا

أقول، ومن الله تعالى الرضا والقبول:

لَمَا كُنْتُ أَقْدَمْ بِرَبِّنَامِحْ : (أَنْتَ تَسْأَلُ وَالْإِسْلَامُ يُجِيبُ) مِنْ إِذَاعَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي بَارِيسِ ، وَالَّذِي اسْتَمَرَّ بِهِ لِثَلَاثِ سَنَوَاتٍ ، وَكَانَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ فِيهِ بِمَعْدِلِ نَصْفِ سَاعَةٍ مِنَ الْوَقْتِ ، ثُمَّ امْتَدَّ لِسَاعَةٍ كَامِلَةٍ فِي وَقْتِ النَّذْرُوَةِ مِنَ الْاسْتِمَاعِ إِلَيْهِ ، إِذْ كَانَ يُدَعَّى عَلَى السَّابِعَةِ مَسَاءً بِتَوْقِيتِ بَارِيسِ ، عَقْبَ نَشْرِهِ الْأَخْبَارِ ، الْمُقَدَّمَةُ عَلَى مُوجَّةِ (FM) مِنْ إِذَاعَةِ الشَّرْقِ .

كَانَ هَذَا الْبَرَنَامِجُ الْحَيِّ وَاللَّامِعُ ، نَافِذَةً مَفْتُوحَةً بَيْنِي وَبَيْنِ الْمُسْتَمِعَاتِ وَالْمُسْتَمِعِينَ : الْأَفَاضِلِ وَالْفَضْلِيَّاتِ ، وَذَلِكَ مِنْ خَلَالِ مَا يَكْتَبُونَ بِهِ إِلَيَّ عنْ أَحْوَالِهِمُ الْشَّخْصِيَّةِ ، وَقَضَائِهِمُ الْاجْتِمَاعِيَّةِ ، وَمَا يُسْتَجَدُ لَهُمْ مِنْ ظَرُوفَ آنِيَّةٍ ، وَنَوَازِلِ يَوْمَيَّةٍ يَقْعُونَ فِيهَا .

وَقَدْ كُنْتُ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، مُتَفَاعِلًا جَدًّا مَعَ كُلِّ مَا يَطْرُحُونَهُ ، وَهُمْ مُتَقِنُونَ أَنَّهُمْ وَاجْدُونَ حَلَّاً ، أَوْ مَخْرَجًا ، أَوْ فَتَرَى مِنْ خَلَالِ مَا يُجِيبُ بِهِ الْبَرَنَامِجُ : (نَقْلًا وَعَقْلًا) ،

(1) يُقال - كَمَا جَاءَ فِي كِتَابِ (مُختار الصَّاحِحِ لِلرازِي) - نَشَرَتِ الْمَرْأَةُ اسْتَعْصَمْتُ عَلَى بَعْلِهَا وَأَبْغَضَتْهُ؛ وَنَشَرَ بَعْلُهَا عَلَيْهَا ضَرِبَهَا وَجَفَاهَا.. وَفِي كِتَابِ (المُصَبَّاحُ الْمُنِيرُ لِلْفَيْوَمِيِّ) : عَصَتْ زَوْجَهَا وَامْتَنَعَتْ عَلَيْهِ؛ وَنَشَرَ الرَّجُلُ مِنْ امْرَأَتِهِ تَرَكَهَا وَجَفَاهَا. أَمَّا (الْمَشَاكِسَةُ) فَمَعْنَاهَا: صَعْوَةُ الْأَخْلَاقِ وَجَفَاؤُهَا وَالْاِخْتِلَافُ فِيهَا.

لذا كُنْتُ -ولا فُخْر- أتابع مَآسيهم، ومشاكلهم، وقضاياهم المستعصية أحياناً على الحل، بعزم صارم، وجذّ عارم، وتفان صادق، حتى أرهقني ذلك التتابع، وأذهب عنّي النوم الهادئ والناعم، فلم أجد وراء ذلك سكينةً ولا طمأنينة، خصوصاً حينما أفتح رسائلهم، وأطلع على ما دبّ جوهه وذكروه، راجين حلاً سليماً، وإجابة مُقنعة، مما دهور درجة ضغط الدم عندي من (12.5) إلى (9.5)، حتى كدتُ أهلك.

أمّا (النشوز) فخلاصة معناه: هو الاستعلاء، أو الاستطاله، من وإلى، لِكلا الزوجين تعمداً أو ظاهراً، لغرض مَحْفِيٍّ، مما يُمهد السبيل إلى انفصام عرى الزوجيّة، وتهاوي الحقوق الشخصية، بين المُرء وزوجه؛ غالباً ما تجد هذا «النشوز» يبدأ من جهة الزوجة، ثم تراه يُسرى - كالحمى أو العدوى - إلى الزوج، فيفعل معها، كما كانت تفعل هي معه، حتى يتفاقم حالهما، وتتعذر الألفة بينهما، وتُتّحَل الكراهة مكان المودة، وربما يتقلان بعد ذلك إلى الشجار، فالتأمر، فالتصادم الساحق، الذي لا يُعيق ولا يذر في نهاية المطاف، مما لا تُحمد عقباه للطرفين؛ لذلك يَبْنَى الله تعالى كيفية الإنقاذ منه قبل أن تشتعل نار العداوة بينهما، أو يسبق أحدهما الآخر بإقامة الدعاوى الملفقة والمزورّة، والمُثُول بها أمام المحاكم المختصة للنظر فيها والحكم لها أو عليها.

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿وَإِنْ امْرَأً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأَحْسِرَتِ الْأَنْفُسُ الشَّحُّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَقْوَى فِيَنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾ النساء: 128.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنَهُمَا فَابْعُثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْهِمَا خَيْرًا﴾ النساء: 35.

وبعد هذا النصّ الربّاني ، لم أفهم السرّ ولا الحكمـة في ان تخص الآية الكريمة المرأة بالبداءة وليس حتى بالرجل، قلت في قراره النفسي: هل لأن المرأة غالباً ما تكون مهضومة الجانب، أو مجنيّ عليها من حيث الحقوق، ومظلومة من الرجل، فكانت البداية بها عطفاً عليها، ولعل ذلك ما يوضح لنا أيضاً كثيراً من الجمعيات النسائية في عصرنا، تدافع عنهن وتحميهن، بينما لا نجد في المقابل ولا جمعية واحدة تدافع عن حقوق الرجال المظلومين، ومن خلال هذا الإخلال، كثرت الأباطيل، والدعوى المزورّة التي ترفعها النساء إلى تلك الجمعيات، أو التي تقاضي بها الرجال في

المحاكم، وهو كثير جداً خصوصاً عندنا في بلاد الغرب؛ وبعد الوقوف عليها من قبل القضاة على وجه الخصوص والنظر فيها، تتهاوى إما لأنها مُفتعلة، أو لأنعدام الشفافية معها، فتنهار القضية المعرفة، وتذهب المرأة بعدها بخفي حنين، وفي المقابل يخلّي سبيل الرجل، وتسقط عنه وبالتالي دعواها الباطلة بل الفاشلة ضد الزوج المسكين.

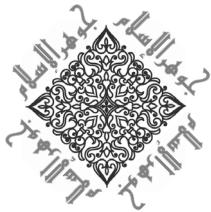
وه هنا أحب أن أسوق نازلة حديثة، وقفْتُ عليها بنفسي، ولمستُها بيدي من البداية حتى النهاية، بعد أن تبيّن فيها الخيط الأبيض من الخيط الأسود، وهي كالتالي:

كان رجل قد تزوج من وطنه فتاة عيظبو لـ، وبعد أن أعاد أوراقها اللزومية، أتى بها معزّزة مكرّمة إلى مقر إقامته لتعيش معه، وهو الذي ولد فيها ونشأ وتعلم، ثم توظّف في كبرى الشركات الإعلامية المرموقة، وبعد وصولها على الرحب والسعة سوّي لها أوراق إقامتها بعشر سنوات قابلة للتجديد وهو حق للمهاجرين، ثم تقدّمت بعد ذلك بطلب للحصول على الجنسية المزدوجة، فكان لها ما أرادت، وهكذا، وبعد أن طاب لها المقام في بلد الاغتراب، واستلذت النعيم فيه من كل أطراقه، خطأ معها خطوة قوية في سبيل السعادة الزوجية، فتمّ لها ذلك بفضل الله، إذ أنجبا وأصبح لهما «ثلاثة أبناء»؛ ثم أضاف ومد لها في حبل المودة، فأغدق عليها ما طلبت منه بإلحاح وإصرار، وهو مساطرتها بالملكية القانونية في مبني سكانه الذي أعدّ بمائه وعرق جبينه، وبعد أن سكنت واستكانت، عبت الشيطان بخيالها، فأخذتها العزة بالإثم، فجاءت إليه - بعد أن مرّ على زواجهما اثنتا عشرة سنة - تطلب منه الفراق من عصمتها الزوجية، وإخلاء سبيلها حتى تكون حرّة طليقة أكثر مما هي فيه، ولنُعوض بذلك ما فاتها في أيّام شبابها - ولما عيل صبرها، نكصت على عقيبها، وأخذت تحيك له «مؤامرة قاسية» لم تكن تخطر له على بال، وصارت تنسج خيوطها في الخفاء: غدرًا ومكيدة (١)، ونسيت أو تناست جميله وحفاوته بها في بلد الغربة، وأنكرت أو تنكرت للنعميم المقيم الذي كانت ولا تزال فيه، إلى أن غدت معه ذات وجهين: ظاهر وباطن، فكانت نقطة الانطلاق لمؤامرها السوداء، أن ذهبت إلى أقرب مركز شرطة حيث تسكن، وادعْت عليه زوراً وبهتاناً، أنه يعنّفها، ويضرّ بها، ولا يهتمّ بها ولا بأبنائها، ثمّ تعود إلى البيت، وكأن شيئاً لم يكن؛ ثمّ كررت ذلك مرّتين أو ثلاثة في أزمنة

(١) خدعته: أي خلتة وأرادت به المكره من حيث لا يعلم. وصف للمرأة الناشر الخادعة لزوجها. مختار الصحاح باب خدع.

متباعدة، وهنا تيقظت الشرطة، ورأت أن لا بد من القبض على هذا الزوج وإحضاره لاستجوابه، فتحولت إلى منزله مباشرة بتاريخ يوم الجمعة 5 نوفمبر 2022 لتقبض عليه في عقر داره، لتجعل حداً لهذا التعدي المزعوم، ولتمسّك بخيوط الاستهثار بحرية المرأة وحقوقها الكاملة في بلد الحرية، ولمّا وصل أعون الشرطة بسياراتهم الثلاث للمنزل ليقبضوا عليه، ويأتوا به أسيراً في قبضتهم، لم يجدوا فيه أحداً: الزوج في العمل، والأبناء في المدرسة، والزوجة تتفسّح كما يحلو لها، فعادوا من حيث أتوا إلى مقرّهم خائبين، لكنّ الشرطة سلكت مسلكاً آخر وتدابير أخرى لا تقل صرامة عما فعلته أول مرّة، فبعثت إليه في الحين «إرسالية قصيرة SMS»، مفادها: الحضور بنفسه إلى مقر الشرطة حالاً دون تأخّر، فما كان منه إلا أن استجاب، وتوجه وكان عائدًا من عمله، وفي الحين قُبض عليه، وجُرّد من هاتفه وحاسوب عمله المحمول الذي كان معه، وقد بُهت الرجل لهذه المفاجأة غير المتوقعة، ثم سألهما: ماذا فعلت؟ ولماذا كل هذا الإجراء؟ فأجابوه على الفور: أنت متهم «ثلاث مرات» من قبل زوجتك، بدعوى عديدة رفعتها ضدك، ولذا، فأنت باق هنا ليومين في الحجر لاستجوابك، فأجهش الرجل بالبكاء، والدموع الحارة تساقط غزيرة من عينيه على مرأى وسمع من رجال الشرطة: ومن الغد استجوبوه فيما ذكرته زوجته من تهم، وهي (الإرهاب، والاغتصاب، والتعدّي على حرية النساء، وإهمال الأطفال)؛ وما كان منه إلا أن تحلّى بالصبر الجميل، وتوجه إلى الله في سره، واستجمع قواه الفكرية والنفسية، وأخذ يدحض ذلك تهمة بعد تهمة، مع إرشادهم بالدلائل المخزنة في الحاسوب، والتي كان يحتفظ بها في ملفه الشخصي لعاقبة الزمان، وفي اليوم الثاني، عند الاستجواب الثاني معه، وصل القضاة الثلاثة الذين كانوا يستجوبونه إلى معرفة حقيقة ما ادعاه واتهمه به زوجته من كل الجوانب، وصارت دعواها بعد ذلك داحضة، وأن ما صرّحت به كذب وافتراء، وغايتها من ذلك: الاستحواذ على الزوج ماديًّا ومعنوًّيا؛ فما كان منهم إلا أن أطلقوا سراحه، ولم يجدوا مبررًا في أن يمثّل أمام المحكمة لاحقاً؛ أما الأطفال (الثلاثة) فأخذوا حالاً إلى دار الحضانة بالقانون مدة سبعة أشهر، ليُخلّى سبيلهم فيما بعد⁽¹⁾.

(1) تم ذلك بتاريخ يوم الثلاثاء ١ ذو القعدة ١٤٤٣ هـ الموافق لـ ٣١ ماي ٢٠٢٢ م.



مفهوم البدعة بين المحددات الضابطة والأخلاق المنهجية

(الجزء الثاني)

بقلم إبراهيم أحمد المقرى

إمام وخطيب بالجامع الوطني النيجيري - أبوجا - نيجيريا

من أعمال المؤتمر العالمي الذي ينظمه منتدى أبو ظبي للسلم
تحت عنوان «بذل السلام للعالم» والمنعقد بنواكشوط عاصمة الجمهورية
الإسلامية الموريتانية بين 8 و 10 فبراير عام 2022 م

بسم الله الرحمن الرحيم

ضابط التعبد ومسألة التعليل

إن من العبادات ما يعقل معناها ويدرك حكمتها سواء لنص الشارع على العلة أو لاهتداء عقول الفقهاء إليها، ومنها ما لا يهتدى العقل إلى شيء من ذلك، فجرى إطلاق العبادات المعللة أو معقولة المعنى على ما تدرك علتها وتعقل حكمتها كما أطلق على التي لا تعلل اسم التعبد.

والمراد بالتعبد كما قال العلامة محمد الطاهر بن عاشور هو «أن الشريعة تعبدنا بذلك الحكم ولم تشرح مرادها منه»⁽¹⁾ ولا اهتدى العالمون إلى عقله، فالتعبد راجع

(1) مقاصد الشريعة الإسلامية: 44.

إلى عدم معقولية المعنى وبحيث لا يصح إجراء القياس، وإذا لم يعقل معناه دل على أن قصد الشارع فيه الوقوف عند ما حدّه لا يتعدى⁽¹⁾. فإذا قيل (هذا أمر تعبد) فمعناه أنه غير معقول المعنى حيث لم ينص الشارع على علته وحكمته وليس بإمكان العقل البشري أن يصل فيها إلى حد تطمئن إليه النفوس في علتها وحكمتها⁽²⁾.

أما العبادات المعللة فهي التي تظهر للعبد حكمتها والغاية من مشروعيتها سواء عن طريق نص الشارع عليها أو إشارته إليها أو عن طريق الاستنباط والتفكير والتأمل فيها. ومجال التعليل واستنباط الحكم مجال واسع يمكن أن تختلف فيه العقول وتتفاوت فيه الأفهام، ومن هنا قيل الحكم لاتعارض.⁽³⁾

وقد ذكر عدد من الأصوليين كابن المنير والزرκشي بأن الأصل في الأحكام التعليل والأصل هنا بمعنى الغالب. وبناء على هذا الأصل إننا إذا لم نجد ما يدل على أن الحكم تعبد فهو معلم مراعاة للأصل⁽⁴⁾، يقول المقربي في القواعد «الأصل في الأحكام المعقولية لا التعبد لأنّه أقرب إلى القبول وأبعد عن الحرج»⁽⁵⁾. وإن كان كثير من العلماء يفضلون فيقولون: إن الأصل في العبادات التعبد وفي العادات المعقولية.

وجمهور الأصوليين على القول بجواز دخول القياس في العبادات المعللة خلافاً لبعض الأحناف الذين نفوا إجراء القياس بناء على نفي تعقل المعنى وإدراك المصلحة التي شرعت العبادات من أجلها.

ولكن يجب التأكيد بأنه لا خلاف بين جميع العلماء في أن القياس لا يجري في أصول العبادات وإنما في الأحكام والصفات لا في إثبات عبادة جديدة، فلا خلاف بين العلماء في عدم جواز إثبات عبادة جديدة زائدة على العبادات المعلمة بالنصوص الشرعية من الكتاب والسنّة بالقياس مثل إثبات صلاة سادسة أو صوم شوال ونحوها بالقياس⁽⁶⁾.

(1) الموافقات: 2 / 318.

(2) القياس في العبادات: 259.

(3) العبادات للبيانوني: 56 نقلًا عن القياس في العبادات: 308.

(4) اجماعات الأصوليين: 232.

(5) القواعد للمقربي: 1 / 296.

(6) إحکام الفصول: 549.

فالعبادة المبتدأة لا تثبت إلا بالنص، ولكن الجائز العادات الفرعية مثل قياس البحر المائي على ميدان القتال في صلاة الخوف، ومثل قياس المضطر خطئاً أو مكرهاً على الناسي في إجزاء الصوم عند من يقول بالأصل المقيس عليه.

وهناك أخلاقاً منهجية كثيرة تتعلق بهذا الضابط، فمن أخلاق المانعين للقياس في العبادات قياسهم سائر المائعات على الماء لتطهير الشوب النجس ومنها قياسهم سائر ألفاظ الإجلال على التكبير في الصلاة مخالفين في ذلك السواد، وغير ذلك كثیر.

ولنأخذ مثلاً واحداً في مسألة التبعد ول يكن الإمام ابن تيمية محل الشاهد هذه المرة. يقول الإمام الشاطبي تحت موضوع البدع الإضافية: «ومثال ذلك أن يقال إن الصوم في الجمعة مندوب إليه لم يخصه الشارع بوقت دون وقت ولا حد فيه زماناً دون زمان، ما هذا ما نهي عن صيامه على الخصوص... فإذا خص منه يوماً من الجمعة بعينه أو أياماً من الشهر بأعيانها لا من جهة ما عينه الشارع فإن ذلك ظاهر بأنه من جهة اختيار المكلف... فإذا قيل له: لم خصت تلك الأيام دون غيرها لم يكن له بذلك حجة غير التفصيم... فلا شك أنه رأي مخصوص بغير دليل ضاهي به تخصيص الشارع أياماً بأعيانها دون غيرها فصار التخصيص من المكلف بدعة إذ هو تشريع بغير مستند»^(١).

فإذا أخذنا هذا الضابط ووضعنا عليه العشرات بل المئات والآلاف من اتجهادات الأئمة المجتهدين لا يكاد ينجو من صفة المبتدع إمام من أئمة الأمة المجتهدين سلفاً وخلفاً، ول يكن الإمام ابن تيمية رحمة الله عن سوق الأمثال، نضع بعض العبادات المؤقتة التي صحت عنه لنرى مدى الخلل المنهجي الذي يعتور هذا الضابط، قال الإمام ابن القيم: «سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله يقول: من واظب على «يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت» كل يوم بين سنة الفجر وصلاة الفجر أربعين مرة أحيا الله قلبه»^(٢). وقال علي البزار: «كنت مدة إقامتي بدمشق ملازم له جل النهار وكثيراً من الليل، وكان يدانيني منه حتى يجلسني إلى جانبه وكانت أسمع ما يتلو وما يذكر حينئذ، فرأيته يقرأ الفاتحة ويكررها، ويقطع ذلك الوقت كله، أعني من الفجر إلى ارتفاع الشمس في تكرير تلاوتها»^(٣).

(١) الاعتصام 277

(٢) مدارج السالكين 3 / 264

(٣) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية 1 / 38

هذا، ولم ت تعرض للعادات لأن الخطب فيها جل إذ الأصل فيها الإباحة بالإجماع، وإن كانت لا تخلو من شائبة التعبد كما أسهب القول فيه الإمام الشاطبي.

ضابط عدم الإنكار في مسائل الاجتهاد

جاء في الصحيحين عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وأله وسلم قال: «إذا حكم الحاكم فاجتهد وأصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد فأخذ بأخطأ فله أجر واحد»^(١)

هذا الحديث العظيم وغيره من الآثار دلت على صفتى العموم والشمول للشريعة الإسلامية الخالدة الصالحة لكل الأزمان، ولا يتأتى هذا العموم والخلود إلا على دعامة قوية من الاجتهاد إلى جانب النص.

وقد اتفق العلماء على عدم تأثيم المجتهد المخالف في الظنيات، إلا خلافاً لم يعتبر لبشر المرئي وأبى بكر الأصم، بل إن العلماء ذهبوا إلى أكثر من ذلك فقالوا بأن حكم الله تعالى في حق كل مجتهد ما أدى إليه اجتهاده، حتى ذهب عدد من الأئمة إلى تعدد المصيب في المسائل الظنية. قال الإمام ابن تيمية: «وهذا القسم الذي سميته اختلاف النوع (الاختلاف في الظنيات) كل واحد من المختلفين مصيب فيه بلا تردد، لكن الذم واقع على من بعى على الآخر فيه»^(٢). ورضي الله عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، فما أغلى قوله: «ما يسرّني أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا لأنهم إذا اجتمعوا على قول خالفهم رجل كان ضالاً»^(٣).

وهكذا صيغت القاعدة الفقهية المعروفة لا إنكار في مسائل الاجتهاد، إذ الاجتهاد ليس منكراً وإنما الإنكار على المنكر.

ومن ألفاظ القاعدة: لا إنكار في مسائل الخلاف، وإن كان بعض العلماء مثل ابن القيم يرون أن مسائل الخلاف غير مسائل الاجتهاد، فيجب التفريق بين القاعدتين والأولى هي الصواب، ويرون في محاولة التوفيق بين القاعدتين شروداً عن العلم وبعدها عن التحقيق. فمسائل الخلاف عندهم أعم من مسائل الاجتهاد، إذ تشمل كل ما وقع من خلاف وإن كان ضعيفاً شاذًا أو مما اعتبر من زلات العلماء.

(١) منافق عليه، البخاري: 6919، ومسلم: 4584.

(٢) كذا في مجموع الفتاوى 79|30 ورد في جامع بيان العلم بلفظ قرين.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم: 38|2.

والإنكار الممنوع في مسائل الاجتهاد «هو الإنكار باليد أو التشنيع على المخالف أو القبح في دينه وعدالته كرميه بالبدعة أو الفسق وهجره من أجلها... ولا تنافي في هذا مع بيان الراجح من الرأيين».⁽¹⁾

ومسائل الاجتهاد هي المسائل الفرعية الظنية، وبعض مسائل الاعتقاد التي يابها الاجتهاد سواء في الترجيح بين النصوص أو تنزيلها أو القياس عليها، وقد ذكر بعض الباحثين أوصاف هذه المسائل كالآتي:

- أ- ما تجاذبها أصلان شرعيان صحيحان.
- ب- المسائل التي ليس فيها دليل يجب العمل به وجوباً ظاهراً.
- ت- ما تجاذبه نصان أو أكثر وكل واحد مقبول سنداً ظاهراً دلالة.
- ث- ما ورد فيها نص لكنه ليس محل اتفاق في دلالته مع ظهور قوة استدلال الطرفين.⁽²⁾

يقول الإمام ابن تيمية في منع الإنكار في المختلف فيه: «مسائل الاجتهاد من عمل فيها بقول بعض العلماء لم ينكر عليه، وإذا كان في المسألة قولان، فإن كان الإنسان يظهر له رجحان أحد القولين عمل به، وإلا قلد بعض العلماء الذين يعتمد عليهم في بيان أرجح القولين».⁽³⁾

هكذا يتضح لنا أنه لا مبرر لأحد من المجتهدين، ناهيك عن دونهم، أن يدعى بأن اجتهاده الحقائق بالإتباع وأنه وحده على الحق والمخالف مبتدع ضال. ما دام كل منهما بنى موقفه على اجتهاد، روى الحافظ ابن عبد البر بسنده إلى يحيى بن سعيد قال: «ما برح أولو الفتوى يفتون فيحل هذا ويحرّم هذا فلا يرى المحرّم أن المحل هلك لتحليله ولا يرى المحل أن المحرّم هلك لتحريمه».⁽⁴⁾

هذا، ولا داعي لإيراد النماذج على الأخلاقيات المبنية المتعلقة بهذا الضابط لأن كل المحدثات التي اختلف فيها أنظار العلماء بين مجيز ومنع تدخل في هذا الإطار، ولو عدتها العاد ما أحصاها، أورد الشيخ علي محفوظ في كتابه (الإبداع) عدداً كبيراً

(1) المرجع 149 – 146.

(2) لا إنكار في مسائل الاجتهاد: 154.

(3) جامع بيان العلم: 80 | 2.

(4) مجموع الفتاوى: 207 | 20.

منها في أبواب مختلفة، كما قام الدكتور عبد الإله العرفة بعرض مميز لبعضها، ويكتفيك ما بين ابن لب والشاطبي رحمهما الله من سجال في هذا الميدان.

ضابط المصلحة

المصلحة هي كل ما يؤدي إلى «المحافظة على مقصود الشرع بدفع المفاسد عن الخلق»⁽¹⁾ فأحكام الله تعالى كلها ملائمة لمصالح العباد، فأينما وجد الأمر فهو مقررون بمصلحة وأينما وجد النهي فهو مقررون بمفسدة، اهتدى العقل أو لم يهتد إلى المصلحة والمفسدة. لكن المصالح منها المعتبرة والملغاة، وإنما الحديث هنا عن الفرع الثالث وهي المرسلة التي لم يرد اعتبارها أو إلغاؤها في الشرع، ومن مسمياتها (المصلحة المرسلة) وسماتها الخوارزمي (الاستصلاح)، وأطلق عليها إمام الحرمين (الاستدلال) والغزالى (الاستدلال المرسل) وقيل (القياس المرسل) و(القياس المصليحي)، ولكن غالب عليها اسم المصالح المرسلة فالមصلحة المرسلة هي مقصود الشارع الذي لم يثبت بدليل خاص به نفياً أو إثباتاً. هي عند الإمام الغزالى «أن يوجد معنى يشعر بالحكم مناسب عقلاً ولا يوجد أصل متفق عليه»⁽²⁾. وعرفها حلوان بأنها «ما لم يشهد له الشرع باعتبار ولا إهدار ولكنه على سنن المصالح وتتلقاء العقول بالقبول»⁽³⁾، وعرفها الدكتور أبو زهرة بأنها «المصالح الملائمة لمقاصد الشارع الإسلامي شرط ألا يشهد لها أصل بالاعتبار أو الالغاء، فإن شهد لها أصل دخلت في عموم القياس وإن شهد لها أصل خاص بالإلغاء فهي باطلة»⁽⁴⁾ فالមصلحة المرسلة إذن كل مصلحة لم يشهد لها الشرع بالاعتبار أو الإلغاء.

ويستقل المذهب المالكي بالقول به عن سائر المذاهب نظرياً ولكن الواقع العملي يدلنا على أن المذاهب كلها تأخذ به على تفاوت فيما بينها، والتفاوت في الأخذ به بين المذاهب كما في سد الذرائع بلا فرق، يقول الإمام القرافي «المصلحة المرسلة غيرنا يصرح بإنكارها ولكنهم عند التفريع تجدهم يعللون بمطلق المصلحة

(1) إرشاد الفحول: 403.

(2) البحر المحيط: 6 | 76.

(3) التوضيح شرح التقىع: 401.

(4) أصول الفقه:

ولا يطالبون أنفسهم عند الفروق والجوا مع بإبداء الشاهد لها بالاعتبار لها على مجرد المناسبة وهذا هو المصلحة المرسلة^(١)

واشترط الإمام الغزالى للعمل بالمصالح المرسلة أن تكون ضرورية لا حاجية أو تحسينية وأن تكون قطعية لا ظنية، وأن تكون كلية لا خاصة بفئة معينة، وإن كان الجمهور على خلاف الإمام في اشتراط القطعية والكلية إذ يعتبرون الظنية والخاصة، قال أبو العباس القرطبي «هي بهذه القيود لا ينبغي أن يختلف في اعتبارها»^(٢) وقال تاج الدين السبكي «إن فرض المسألة بالشروط المذكورة مما علم من الشرع اعتباره قطعاً وليس من المرسل المختلف فيه»^(٣)، بل رأى بعضهم كالأتيايرى وابن المنير بأن المصالح بهذه الشروط أمر لا يتوقع تصوره في الشريعة أصلاً فكانه يفضى إلى القول بنفي الاستصلاح

هذا، وقد ثبت عن الصحابة رضوان الله عنهم كثير من الأحكام والتصيرات التي لو فتش الواحد لا يجد لها دليلاً سوى المصالح المرسلة مثل جمع أبي بكر رضي الله عنه للمصحف واستخلاف عمر رضي الله عنه، ومثل حد شارب الخمر وحرق حانوت الخمار بما فيه، ومثل جمع الناس على مصحف واحد وتتجديد الأذان، ومثل تضمين الصناع الذي قال عنه علي كرم الله وجهه: «لا يصلح الناس إلا ذاك». فالтельخة تدخل غالباً في سياسة الرعية، والعلماء يستحسنون الاستصلاح دائماً في التصرف بموجب الإمامة لا بموجب الفتوى إلا من حيث تبدل الأحكام بتبدل الأزمان. قال الشاطئي بعد إيراد بعض هذه الأمثلة بتفصيل: «ولم يرد نص عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما صنعوا من ذلك ولكنهم رأوه مصلحة تناسب تصرفات الشرع قطعاً، فإن ذلك راجع إلى حفظ الشريعة، والأمر بحفظها معلوم».^(٤)

وقد أورد الإمام ابن القيم عدداً من تصرفات الصحابة التي لا وجهاً لها إلا أن تكون مستندة إلى المصلحة المرسلة، مثل حلق عمر رضي الله عنه رئيس نصر بن حجاج ونفيه من المدينة لتشنيب النساء به وضرب صبيغ بن تميم على رأسه لما سُأله عمما لا

(١) تناقح الفصول

(٢) البحر المحيط: 8/ 87

(٣) تشنيف المسامع: 3/ 300

(٤) انظر الطرق الحكمية:

يعنيه، ومثل إلزام الصحابة أن يقلُّوا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما استغلوا به عن القرآن⁽¹⁾.

ومصالح المرسلة من أهم المحددات الضابطة لتمييز البدعة عن غيرها، إذ إنها قوية الشبه بالبدعة من حيث عدم ورود النص وعدم إمكان إجراء القياس على أصل من الأصول.

يرى بعض العلماء أن الفرق بين المصلحة المرسلة والبدعة يكمن في ثلاثة أمور:

أ- البدعة ظاهرة في التعبادات... والمصالح المرسلة عامة النظر فيها إنما هو فيما عقل معناه.

ب- المصالح المرسلة ترجع إلى حفظ أمر ضروري أو رفع حرج لازم في الدين خلاف البدعة.

ت- البدع إنما تكون من المقاصد بخلاف المصالح المرسلة التي تكون في الوسائل.⁽²⁾

وقد عقد الشاطبي بباب لذكر الفرق بين البدعة والمصلحة المرسلة والاستحسان، وقال: «هذا باب يضطر إلى الكلام فيه عند النظر فيما هو بدعة وما ليس بدعة، فإن كثيراً من الناس عدّوا أكثر المصالح بدعاً ونسبوها إلى الصحابة والتبعين وجعلوها حجة فيما ذهبوا إليه من اختراع العبادات». ⁽³⁾

ويرى الشاطبي أن الفرق يكمن في أن الحديث عمما يرد بخصوصه دليلاً يشهد له بالقبول أو الرد، وهو على وجهين إما غير ملائم لتصرفات الشرع فيكون بدعة وإما ملائم بشهادة عمومات الأدلة الشرعية وهو المصلحة المرسلة وعليه تنزل تصرفات الصحابة المشار إليها⁽⁴⁾.

وتعقب الإمام الغزّي بن عبد السلام ورأى أنه سمي المصالح بدعاً إذ لم تدخل تحت النصوص المعينة، ورأى بأنه إنما جرى على مذهبه في تقسيم البدعة فأطلق البدعة الحسنة على المصالح المرسلة، يقول: «وقول عز الدين إن الرد على القدرية

(1) الإعتصام: 361.

(2) الإبداع في مضار الابتاع: 91 - 92 بتصرف.

(3) نفسه

(4) الاعتراض: 354 - 352

وكذا غيرهم من أهل البدعة من البدع الواجبة غير جار على الطريقة الواضحة، ولو سلم فهو من المصالح المرسلة⁽¹⁾. وهكذا يعود بنا الشاطبي مرة أخرى إلى مسألة الاجتهاد

غير أن بعض العلماء يرون بأن خلاف الشاطبي نفسه لفظي، يتعلق، فحسب، بالتسمية، حيث استعراض عن تسمية البدعة الحسنة بالمصلحة، وإن كان الشاطبي في الحقيقة لا يخالف العلماء في أن المصالح مدارها على العادات أصلاً، يقول: «إن عامة النظر فيها، المصلحة المرسلة، المختلطة على البعض بالبدعة إنما هو فيما عقل معناه وجرى على المناسبات المعقولة التي إذا عرضت على العقول تلقتها بالقبول، فلا مدخل لها في التعبادات وما جرى مجرياًها في الأمور الشرعية»⁽²⁾.

لكن عدم دخول المصلحة في باب العبادات ليس بإطلاق، إذ نجدها داخلة في جملة من العبادات المعللة «كصنيع عثمان في الأذان وصنيع عمر في جمع الناس على إمام واحد وتكثير الركعات المصلى بها في نظير تقليل القراءة في الركعات لطول القيام فإبلاغ الأذان»⁽³⁾ وغير ذلك من المصالح في باب العبادات مما يمكن دخوله تحت مسمى البدعة الإضافية.

ثم تنشأ الأخلاقيات المنهجية في المصالح المرسلة فتجد عالماً مثل الشيخ محمد ناصر الدين الألباني يصف رسم الخطوط لتسوية الصفوف في المساجد بأنه مخالف للشرع ويجب أن يكون بدعة ضلاله بإجماع العلماء.⁽⁴⁾

وإن كان ثلة من العلماء من نفس المدرسة الفكرية التي يتميّز إليها لا يوافقونه في فتاواه هذه التي يتوقع أن يكون بناها على قاعدة الترك وجود المقتضي وانتفاء المانع غير ملتفت إلى أن المصلحة قد تقتضيه

(1) المرجع: 143.

(2) الاعتصام:

(3) الأصول الاجتهادية التي يبني عليها المذهب المالكي: 93

(4) نقلاً عن مفهوم البدعة: 307

في رياض السنة



الحياة و منزلته الرفيعة في الدين

بعلم الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنباري البكري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت»

رواية البخاري

هذا الحديث على اختصاره بلغ ملخصه بالعبر والمواعظ والدروس وهو ككل أحاديث رسول الله ﷺ الذي أوتي جوامع الكلم والذي لا ينطق على الهوى من الأحاديث الكثيرة التي لا تحصى ولا تعد التي تتعلق بالأخلاق ومعاملة الناس وهذا الباب من دين الإسلام كثيراً ما يستهان به ويقدم عليه سواه مما يتصور انه أفضل عند الله في حين إن المعاملة تحتل في دين الإسلام منزلة متميزة وقد قصر رسول الله ﷺ الغرض من بعثته «إتمام مكارم الأخلاق» حيث قال عليه الصلاة والسلام «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» وللنجاج في هذه المهمة وادائها على أحسن الوجوه وأتمها جعل الله تبارك وتعالى نبيه وحبيبه محمداً ﷺ في أعلى المراتب الأخلاقية حيث شهد له عز وجل يعلو المنزلة وكريم الأخلاق فقال سبحانه وتعالى في حقه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

وشهد له القاصي والداني والعدو والصديق بكريم أخلاقه عليه الصلاة والسلام حيث كان يلقب قبلبعثة بالصادق الأمين. وكم كانت السيدة خديجة رضي الله عنها بلغة عندما قالت له عند عودته من غار حراء «والله لا يخزيك الله انك لتصل للرحم وتحمل الكل وتقرئ الضيف وتعين على نوائب الدهر» وكذلك شهدت له

السيدة عائشة رضي الله عنها فقالت في حق أخلاقه «كان خلقه القرآن» أما صاحبه انس بن مالك رضي الله عنه فقد قال بعد ان خدمه السنوات الطوال «ما قال رسول الله ﷺ لي في يوم من الأيام أَفْ وَلِمْ يَقُلْ لِي شَيْءٌ فَعَلْتُهُ لَمْ فَعَلْتُهُ؟ وَلَشَيْءٌ لَمْ افْعَلْهُ لَمْ لَمْ تَفْعَلْهُ؟ بَلْ كَانَ يَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشأْ لَمْ يَكُنْ». .

ولقد جعل الله نبيه وحبيبه محمدا ﷺ قدوة وأسوة لامة (ولكم في رسول الله أسوة حسنة) وقال على لسانه (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونني يحببكم الله).

وقد بشر رسول الله ﷺ أصحابه بما أعده الله من اجر عظيم لذوي الأخلاق الكريمة «هل أدلّك على أقربكم مني مجالسا يوم القيمة؟ قالوا بلى يا رسول الله قال أحسنتكم أخلاقاً الموطئون أكناها الذين يألفون ويؤلفون».

والخلق الكريم مما يكتسب و مما توطن عليه النفس وهو غير مكلف قالت السيدة عائشة رضي الله عنها (إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوههم بأخلاقكم).

والأنفس البشرية خلقها الله تبارك وتعالى متهيئة للتخلق بالخلق الحسن قال الشاعر «والنفس كالطفل إن تهمله شب على الرضاع وإن تنظمه ينطم»

وأنفس الصغار بالخصوص تحتاج إلى الأسوة والقدوة وأولى من يقدم هذه الأسوة هم الآباء والأمهات وذلك داخل ضمن مسؤولياتهم (قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيْكُمْ نَارًا وَفُؤُدُهَا النَّاسُ وَالْجِحَارَةُ).

قال الشاعر : وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه

والحياة موضوع هذا الحديث الذي بين أيدينا من صميم الإيمان وهو إحدى شعبه قال رسول الله ﷺ «الإيمان بعض وستون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدنىها إماتة الأذى والحياة شعبة من الإيمان».

وكتب السيرة تقول إن رسول الله ﷺ الذي كان مضرب المثل في كل شيء لقد كان عليه الصلاة والسلام أشد حياء من العذراء في خدرها ﷺ وشرف وعظم فلم يكن عليه الصلاة والسلام فظا ولا سبابا ولا فاحشا ولا متفحشا.

وزوال الحياة من علامات الساعة التي لا يعلمها إلا الله ولكن رسول الله ﷺ أخبر بعلاماتها الصغرى التي منها ذهاب الحياة والبركة وغيرهما، وعلامات كبرى لا تنفع بعدها التوبة والتي منها ظهور الدابة التي تكلم الناس «وهي مذكورة في القرآن» وظهور المسيح الدجال وغيرهما.

وقد وردت عن رسول الله ﷺ أحاديث عديدة تحذر الأمة من مغبة الوقوع في

مهماوي الانحراف الأخلاقي والسلوكي قوله وفعلاً وممارسة وتصرفاً وذكر عليه الصلاة والسلام أصنافاً من الناس يأتون من بعده يرتكبون أشنع الانحرافات السلوكية والأخلاقية والعياذ بالله ويقاد يزول الحياة منهم كلها إذ يعودون إلى ما كان عليه الناس قبل أن يأتيهم من الله بهذا الدين الحنيف سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

ولسنا في حاجة لكي نستعرض بعض ما يتنافي مع مكارم الأخلاق ومع الحياة وما يتعارض مع قيم الدين الحنيف وهديه القويم قوله وفعلاً وسلوكاً وملبسًا وهيئة سواء كان ذلك من النساء أو من الرجال على حد سواء وهو ما لا يرضاه الله من عباده المؤمنين والذي كثيراً ما يكون متائلاً من التقليد الأعمى غير الواعي وهو الأمر الذي نهى عنه رسول الله ﷺ أمهه حيث قال عليه الصلاة والسلام «لا يكن أحدكم إمعة يقول إذا أحسن الناس أحسنت وإذا أساءوا أساءت بل وطّنوا أنفسكم على أن تحسنوا إذا أحسن الناس وإن لا تسيءوا إذا أساء الناس» لسنا بحاجة إلى ذكر الله فذلك يراه الجميع وقد وقع ويا للأسف الكثير من أمّة محمد عليه الصلاة والسلام في ما حذرهم منه حديث قال «لتبعهن سنن من قبلكم سنة بسنة حتى إذا دخلوا حجر ضب دخلتموه وراءهم».

إنّ أمّة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام هي أمّة الاستقامة السلوكية والأخلاقية وبذلك استحقت بأن تكون خير أمّة أخرجت للناس قال جل من قائل ﴿كُتُّمْ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ . وظهور الفواحش والانحرافات السلوكية مسبب لغضب الله يقول جل من قائل ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ والفسوق والفحور والفحش القولي والفعلي والسلوكي مما يتنافي مع الخلق الكريم والأدب الرفيع والدين الصحيح ومن هنا جاء وجوب النصح والتوجيه على العلماء وأولي الأمر باعتبار أنّ الجميع يركبون سفينته واحدة ولا بد من ردع كل من يمكن أن يحدث خرقاً في السفينة لأنّ هذا الخرق إذا عظم وكبير يخشى على السفينة أن تغرق بالجميع ومن هنا فما دام الجميع يعيشون مع بعضهم البعض فلا بد أن تكون لحياتهم الشخصية حدوداً لا يتجاوزونها ولا بد من مراعاة القيم السائدة والمتعارف عليها والتي يقاد يكون الإجماع حولها حاصلاً وهذه القيم بالنسبة للمسلمين هي قيم الدين الحنيف وما جاءهم به من عند الله سيدنا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام.

والإسلام لا يطلب من أتباعه الكمال ولا العصمة فذلك ما ليس في مستطاعهم ولكنه يطلب منهم ما هو في مقدورهم وهو أن يتخلوا بالأدب والخلق الكريم والذي من أساسياته الحياة من الله ومن خلق الله وحتى من يقع في معصية أو ذنب ويضعف

أمام نفسه الأمارة وهذا وارد من الإنسان الضعيف المطلوب منه هو الاستحياء والاستئثار «إذا عصيتم فاستتروا» والذي يأبه الله على عباده هو أن يسترهم ولا يفضحهم ويأبون إلا أن يجاهروا بمعاصيهم.

قال رسول الله ﷺ «كل أمتى معافي إلا المجاهرون» وهم من يسترهم الله ولا يسترون أنفسهم ويأبون إلا أن يتحدثوا بما فعلوا لأنهم بذلك يجرؤون المخلوق على الخالق. إن الإسلام دين الستر يأبى الفضيحة ولا يحب أن تشيع الفاحشة بين الناس ويحرم هذا الفعل فالله ستار ويحب الستر قال رسول الله ﷺ لمن جاء يتحدث بما رأى «هلا ستره بردائك».

إن الحياة فضلاً عن كونه من علامات قوة الإيمان وصدقه هو علامة أدب وتحضر وتمدن ورقى ، يدعو إلى الحياة والخشمة التفكير القوي والعقل السليم.

أما الميوعة والخلاعة والبذاءة والاستهتار والمجون والفسوق والواقحة فكل ذلك من علامات التخلف والانحطاط السلوكي والأخلاقي ومما يتنافى مع التدين الصحيح والإيمان العميق.

والحياة من القيم التي تشتراك في الدعوة إليها وتحبيب الناس فيها وتعد بالأجر والثواب الجزييل عليها كل الديانات السماوية التي تنهل من منبع واحد هو منبع الوحي المنزلي من عند الله والذى أساسه قول لا إله إلا الله «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبل لا إله إلا الله».

فكل الأنبياء والمرسلين دعوا إلى مكارم الأخلاق والتي منها الحياة ولذلك قال رسول الله ﷺ «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستع فاصنع ما شئت».

فهذا الحديث وغيره مما يرسخ القناعة التي هي مسلمة ولا شك فيها بالنسبة للمسلمين أن الديانات السماوية وأنبياءها عليهم السلام تكاد تكون دعواتهم تتطابق وحاشا لله أن تتعارض قيمها ومثلها وما تدعوه إليه فهي جميعها من عند الله ونحن كلنا عباده مهما اختلفت أجناسنا ولغاتنا وألواننا وهو سبحانه وتعالى لا يريد لنا ومننا إلا الخير وإلا ما فيه صلاحنا وفلاحنا.

والإسلام يعتبر شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد ناسخ ولذلك نجد القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ مليئتين بذكر السير العطرة لأنبياء الله ومرسليه عليهم السلام حيث يورد على ألسنتهم الهدي القوي وما يأمرؤن به أتباعهم من خلق كريم ويعتبر الإسلام ذلك شرعاً للمسلمين.

وقد زاد رسول الله ﷺ موضوع الحياة وضوها وبياناً حيث وسع مجالاته وجعلها تشمل كل تصرفات المسلم قال عليه الصلاة والسلام «استحيوا من الله حق الحياة وردد ذلك مراراً قالوا انا لستحبي والحمد لله فقال ليس ذاك ولكن الاستحياء من الله حق الحياة ان تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وأن تذكر الموت والبلى فمن فعل ذلك فقد استحب من الله حق الحياة» وما زال يكرر ذلك حتى أبكاهم. إنها النظرة الشمولية من رسول الله ﷺ التي تجعل المسلم يراقب الله ويخشأه ويستحي منه في كل أحواله وفي كل شؤونه وفي كل تصرفاته «اقن اللهم حيث ما كنت» فالله تبارك وتعالى سميع بصير رقيب عليم لا يخفى عليه شيء.

فمن اتصف بالحياة والحسنة وكانت تلك حاله فهو على خير كبير وليرحمد الله على ذلك وليحافظ على هذه النعمة والمنة الإلهية وقد قال رسول الله ﷺ لمن رأه يعتاب أخاه على الحياة «دعه فإن الحياة من الإيمان».

وأولى الناس بالحياة والحسنة هم من تقدمت بهم السن فذرو الشيبة لهم منزلة رفيعة وأجدر بهم أن يكونوا في مستوى هذه المرتبة فعن عمر رضي الله عنه انه دخل على رسول الله ﷺ فوجده يبكي فقال ما يبكيك يا رسول الله؟ قال اخبرني جبريل عليه السلام أن الله يستحب من عبد يشيب في الإسلام أن يعذبه أفالاً يستحب الشيخ من الله تعالى أن يذنب وقد شاب في الإسلام».

وقد أورد الشيخ الشبرخي في شرحه لهذا الحديث «إذا لم تستح فافعل ما شئت» آثاراً نوراً بعضها تعتمداً للفائدة.

* قال علي رضي الله عنه «من كسى بالحياة ثوبه لم ير الناس عيه»

* وقيل لأبي سفيان ما أول الحياة قال أن تستحي منه أن يراك حيث نهاك قيل ما غايتها قال أن تستحي منه أن يعلم أنك تريد بقلبك سواه».

* وقال بعض السلف لابنه «يابني إذا دعوك نفسك إلى معصية فارم بصرك إلى السماء واستح من فيها وارم بصرك إلى الأرض واستح من فيها فإن لم تفعل فعد نفسك من البهائم».

* وقال الفضيل «خمسة من علامات الشقاء القسوة في القلب وجحود العين وقلة الحياة والرغبة في الدنيا وطول الأمل».

* وقيل إذا جلس الرجل ليعظ الخلق ناداه ملكاً عظ نفسك بما تعظم به أخاك وإنما فاستح من سيسألك فانه يراك».

* وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت «مكارم الأخلاق عشر تكون في الرجل ولا تكون في ابنته وتكون في الابن ولا تكون في الأب وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله لمن يريده به السعادة: صدق الحديث وصدق البأس وإعطاء السائل والمكافأة بالصناعع وحفظ الأمانة وصلة الرحم والتذمّم للجار «أي يحفظ ذمامه أي حرمته وحقه ويطرح عن نفسه ذم الناس» والتذمّم للصاحب وقرى الضيف وراسهن الحياة».

ولا بد من التنبيه أنه لا يدخل في الحياة المطالبة بحق والقيام بواجب كطلب علم أو نهي عن منكر عند توفر شروطه ويستوي في ذلك الذكور والإإناث.
قالت عائشة رضي الله عنها «نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياة أن يسألن عن أمر دينهن».

وقد قامت إحداهم تطالب رسول الله ﷺ بأن يخصص للنساء يوماً يعلمهن فيه دينهن حيث قالت «غلبنا عليك الرجال يا رسول الله».

كما اشتكت إحدى الفتيات أباها إلى رسول الله ﷺ الذي أراد إن يزوجها من ابن أخيه دون اخذ رايها وقد جعل رسول الله ﷺ أمرها إليها.

وجاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ وقالت «إن الله لا يستحي من الحق» هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت قال نعم إذا رأت الماء».

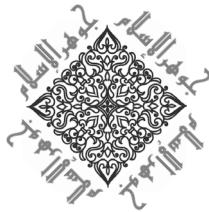
وقال سيدنا عمر رضي الله عنه «لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث، لا تتعلم العلم لتماري به ولا لترائي به ولا لتباهي به ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضا بجهالة».

وعن عمر رضي الله عنه «من رق وجهه رق علمه».

وقال الأصممي «من لم يتحمل ذل التعليم ساعة بقي في ذل الجهالة أبداً».

وقال رسول الله ﷺ «أربع من سن المرسلين التعطر والنکاح والسواك والحياة».

هذه أيها القارئ بعض الخواطر والنقول التي أوحى بها هذا الحديث البليغ من أحاديث الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام والذي نبه فيه أمته إلى فضيلة الحياة و منزلته من الدين الحنيف معتبراً عليه الصلاة والسلام أن من لم يستح «من الخالق والمخلوق» يمكن أن يأتي من المنكرات ما يتندى له الجبين ويستغرب صدوره عن العقلاه انه ارتکاس في حماة الرذيلة والبهيمية التي لا تلقي بما كرم به الله بنى آدم و Mizhem به من عقل سليم وتفكير قوي.



السلطان والإسلام

المفكر الإسلامي : وحيد الدين خان

بدأ التاريخ الإسلامي عام 610 م، وكانت وفاة رسول الإسلام عام 632 م، ثم تلا ذلك عصر الخلفاء الراشدين والذي كان فيه أربعة خلفاء على مدى ثلاثة عشر عاماً وقد جرى تعين كل من هؤلاء الخلفاء بطريقة مختلفة عن الآخر مما يدل على أن تعين الخليفة أو القائد السياسي لا يعتمد على وصية إلهية وليس له معيار واحد بل هو متrox للاجتهاد بحسب الظروف السائدة.

وبعد عصر الخلفاء الراشدين جاءت فترة إمارة معاوية وهو أحد صحابة الرسول ﷺ (602-680 م) وقد قام بجعل الخلافة قائمة على أساس النظام الملكي الوراثي ورغم وجود عدد كبير من الصحابة على قيد الحياة في ذلك الوقت ولكنهم جميعهم تلقوا طريقة الحكم الوراثي بالقبول واستمرت هذه الطريقة بعد ذلك طوال فترة التاريخ السياسي للإسلام.

إن الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والفقهاء والعلماء الأصوليين كلهم تلقوا النظام الوراثي للحكم بالقبول وقد تم إنشاء العديد من الدول الإسلامية على أساس هذا النظام مثل دولة الأمويين والعباسيين والعثمانيين والمغول، وكل المسلمين الأوائل المعروفيين بالسلف عملياً قبلوا ذلك ولم ينكروه فهذا النموذج الوراثي للحكم صار مقبولاً نتيجة للعملية التاريخية وهو نفس نظام الحكم القائم اليوم في العديد من الدول العربية.

إن منهج علماء السلف هو المنهج المعتمد بين العلماء ولا يوجد عالم بارز قام بحركة تمرد ضد الحكم الوراثي، وخلال الفترة العباسية أصدر العلماء بياناً أن الثورة ضد حكام المسلمين هو عمل غير جائز وقد وضح الإمام النووي في شرحه لأحاديث الرسول ﷺ منهج السلف في ذلك حيث قال: (وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين وقد ظهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته وأجمع أهل السنة أنه لا ينزعل السلطان بالفسق)⁽¹⁾ كما جاء في شرح صحيح مسلم كتاب الإمارة. وقد كان نظام الحكم في عصره قائماً على النظام الوراثي وما زالت البلاد العربية في العصر الحاضر مستمرة على هذا النظام لذلك فإن فنون الإمام النووي تتطابق على البلاد العربية اليوم كما كانت تتطابق في عصور الأمة الإسلامية السابقة.

لماذا قبل علماء المسلمين بالإجماع النظام الوراثي في الحكم؟ السبب في ذلك أن دور الحكومة في الإسلام هو توفير التمكين والاستقرار وليس اتباع نظام معين لطريقة الحكم والمقصود بالاستقرار هنا الاستقرار السياسي وبوجود هذا الاستقرار والحالة الطبيعية للحياة تنشأ لدى العلماء والمصلحين الفرصة لممارسة نشاطاتهم بدون عوائق. كما أن أحد جوانب الحكمة في ذلك أن نموذج الحياة في المجتمع يعتمد على التقاليد أكثر من اعتماده على القانون والحكم، فالتقاليد تنشأ في المجتمع نتيجة مرور فترات طويلة من الزمان وقد صدق من قال (تحتاج الكثير من التاريخ لصنع القليل من التقاليد) ولن ن جانب الصواب لو قلنا أن الحكومة تحكم الجانب السياسي في الدولة ولكن التقاليد تحكم الجوانب الغير سياسية وهي تعتبر حكومة غير ظاهرة، ومعظم جوانب الحياة في المجتمع تستند إلى هذا الحكم الغير سياسي الذي يتشكل عبر الناس الذين يعيشون في المجتمع وليس لهم ارتباط بالحكومة.

لقد كاننبي الإسلام هو آخر الأنبياء وكان من الضروري لكي يتم المحافظة على استمرارية الدين أن يظهر بناء للإسلام في جانب التقاليد، ويخبرنا التاريخ الإسلامي أن النبي ﷺ واجه العديد من العقبات التي كانت ضد إنشاء الحياة وفقاً للتقاليد الصحيحة ف تعرض لمقاطعة المعارضين واضطر للهجرة وخوض المعارك ضدهم وكذلك في عصر الخلفاء حصلت خلافات أدت إلى مقتل ثلاثة من الخلفاء وغاب الجو الذي يسمح بتوغل الدين في التقاليد لضمان استمرارية الدين .

(1) - المنهج شرح صحيح مسلم، بيروت، دار أحياء التراث العربي، 1972، مجلد 12، ص 229

إن الله هو المدبر لشئون هذا الكون وهو المتحكم به وهذا العالم يخضع لحكم الله بكل جوانبه الكونية، ووفقنا للإرادة الإلهية في خطة الخلق فقد أعطى الله الإنسان إرادة حرة وجعله مسؤولاً عن صناعة التاريخ البشري ولكن الله يتدخل لإدارة التاريخ البشري وتسييره في الطريق الذي يريده عن طريق معالجة هذه الحرية لذلك فهي إرادة الله أن يبقى نظام الحكم في العالم الإسلامي خلال كل هذا الزمان وبدون انقطاع قائم على النظام الوراثي. ويدل على ذلك ما جاء في الآية الكريمة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، (الحجر: 9) والحفظ على القرآن في المعنى الواسع له يشمل الحفاظ على الدين كله والذي هو الإسلام لذلك فإن تحول نظام الحكم للنظام الوراثي بعد فترة الخلفاء الراشدين كان ضمن التدبير الإلهي لحفظ الدين.

يخبرنا التاريخ الإسلامي أنه بعد بدء نظام الحكم الوراثي في العالم الإسلامي ظهرت بيته مناسبة فقد تلقت الأمة هذا النظام بالقبول وكان ذلك عين الحكمة حيث نشأت استمرارية للإسلام ضمن هذا النظام لأن مهد الطريق لتعمق التقاليد الإسلامية الصحيحة في المجتمع وهذا ما يفسر قوة توغل هذه التقاليд الإسلامية في العالم الإسلامي اليوم ولذلك أصبح من السهل اليوم لكل مسلم أن يعرف عن الإسلام ويمارسه بكل يسر وسهولة.

ويخبرنا التاريخ الإسلامي أيضاً أنه بعد أن جعل معاوية الحكم مبنياً على النظام الوراثي حصلت حالة من الاستقرار في المجتمع بحيث صارت كل النشاطات الإسلامية تتم بكل مرونة مثل العناية بالقرآن الكريم وجمع الأحاديث والتراث النبوي وقد حصل تطور للفقه وانتشرت العلوم الإسلامية وتقدم بناء المساجد والمدارس ويسرت القيام بالحج والعمرة وأعمال الدعوة، وكل هذه النشاطات ظهرت في جو من السلام وظروف الحياة الطبيعية. وقد ظهرت المكتبة العلمية الدينية للوجود في هذه الفترة وهذا النظام مازال عملياً مستمراً حتى اليوم وقبل تلك الفترة ما كانت هذه النشاطات تتم إلا في مستوى بسيط جداً.

أشار الإمام مالك بن أنس لأستاذه وهب بن كيسان قائلاً: (لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها).^(١) وأول الأمة هنا تعني عصر السلف وهي فترة امتدت للوجود في ظل نظام الحكم الوراثي ومن هنا نستطيع أن نستنتج أن النموذج السياسي

(١) - (مسند الموطأ للجوهري حديث رقم 783).

الذي وافق عليه علماء السلف بالإجماع هو صحيح لهذه الأمة في الفترات اللاحقة أيضاً كما كان صحيحاً في الماضي ويمكن إجراء الإصلاحات في ظله.

روى الصحابي عبد الله بن عباس حديثاً نصه: (الإسلام والسلطان أخوان توأمان)⁽¹⁾ وفي آخر (الملك والدين أخوان توأمان).⁽²⁾

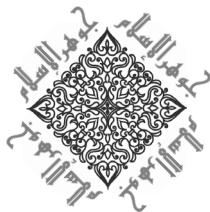
في هذين الأثنين كلمة السلطان والملك متراوحتين وكلاهما يعني السلطة السياسية وهذا يظهر أن دور السلطة السياسية في الإسلام هو دور داعم ل توفير مأوى لكل الأنشطة الإسلامية بحيث تتم في المجتمع بسلامة ومرونة.

نلاحظ أن كلمة العدل في القرآن لم تستخدم في الصيغة المتعدية وإنما بالصيغة الازمة كما في الآية: ﴿أَعْدِلُوا﴾ (المائدة: 8) وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (المجادلة: 25) وفي ذلك إشارة للقول بأن دور السلطة السياسية ليس فرض العدالة بل هو انشاء حالة طبيعية في المجتمع لمنع الناس الفرصة لممارسة العدالة في المجتمع ولأجل ذلك الدور لا نجد نموذجاً معيناً للسلطة السياسية في الإسلام فمهمة السلطة السياسية هي إنشاء السلام والأمن للمسلمين مما يجعل كل النشاطات الدينية تنشأ بطريقة طبيعية ومن أجل ذلك وافق العلماء على تقبل طريقة الحكم الوراثي كطريقة مشروعة مع أنها كانت واضحة الاختلاف عن الطريقة التي كانت في عصر الخلفاء الراشدين حيث رأوا أن المسلمين تحت هذا النموذج السياسي ينعمون بسلام وآمن وكل أنشطتهم الدينية تتم بدون عوائق وهذه الفرصة لم تكن متاحة في وقت سابق.

الحقيقة أنه هناك مطلبين أساسيين للإسلام بالنسبة للمسلم: الأول داخلي وهو أنه يجب على كل مسلم ومسلمة أن يحيوا وفقاً للمنهج الإلهي أو بعبارة أخرى أن كل شخص يجب أن يكافح وي Jihad ليعيش كمؤمن حقيقي والمطلب الثاني خارجي وهو أن مهمة المؤمنين هي الدعوة إلى الله، وذلك في ضوء الكتاب والسنة يكون بتبليغ رسالة الرحمة الإلهية بالأسلوب الإسلامي لكل البشر وفي هذا الإطار تكون مهمة السلطة السياسية هي تأمين الظروف المواتية لذلك في المجتمع وفي ظل وجود ذلك الجو من السلام تكون مسؤولة الأفراد والمؤسسات ممارسة أعمال الدعوة كما كانت تتم من قبل الأنبياء وذلك بالخطيب الإسلامي في كل أنحاء العالم.

(1) - (كتن العمال حديث رقم 14613)

(2) - (كشف الخفا حديث رقم 2329)



الشّورى منفعة

بِقَلْمِ الْأَسْتَاذِ حَامِدِ الْمَهِيرِي

من الصّفات الحميدة لدى العقلاة من النّاس أن يكون ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى يَبِهُم﴾ كما ذكر في سورة الشّورى آية : 38) أي المسلمين وذكر سماحة الأستاذ العلّامة الإمام الشيخ محمد الطّاهر ابن عاشور رحمة الله استشارة الرّسول صلّى الله عليه وسلم التي حصلت زمن غزوة أحد وقد توسيع في بيان ذلك أنّ (المشاورة مصدر شاور، والاسم الشّورى والمشورة) وذكر أيضاً (أنّ المراد المشاورة الحقيقة التي يقصد منها الاستعانة برأي المستشارين بدليل قوله تعالى [فإذا عزمت فتوكل على الله] فضمير الجمع في قوله : «وشاورهم» عائد على المسلمين خاصة : أي شاور الذين أسلمو من بين من لنت لهم، أي لا يصدّك خطأ رأيهم فيما بدا منهم يوم أحد عن أن تستعين برأيهم في موقع أخرى، فإنّما كان ما حصل فلتة منهم، وعشرة قد أقلّتهم منها. ويحتمل أن يراد استشارة عبد الله بن أبي وأصحابه، فالمراد الأخذ بظاهر أحوالهم وتتألّفهم لعلّهم أن يخلصوا الإسلام أو لا يزيدوا نفاقاً وقطعاً لأعذارهم فيما يستقبل. وقد دلّت الآية على أنّ الشّورى مأمور بها الرّسول صلّى الله عليه وسلم فيما عَرَّ عنه بـ(الأمر)، وهو مهمّات الأُمّة ومصالحها في الحرب وغيرها، وذلك في غير أمر التشريع لأنّ أمر التشريع إن كان فيه وحي فلا محيد عنه، وإن لم يكن فيه وحي وقلنا بجواز الاجتهاد أن يستند إلى الأدلة لا للآراء، والمجتهد لا يستشير غيره إلا عند القضاء باجتهاده كما فعل عمر وعثمان. فتعيّن أنّ المشاورة المأمور

بها هنا هي المشاورة في شؤون الأمة ومصالحها، وقد أمر الله بها هنا و مدحها في ذكر الأنصار في قوله تعالى «وأمرهم شورى بينهم» واشتراطها في أمر العائلة فقال [إذا أرادا فصالا عن تراضٍ منهما وتشاور فلا جناح عليهمما] [سورة البقرة آية: 233]

فشرع بهذه الآيات المشاورة في مراتب المصالح كلّها: وهي مصالح العائلة ومصالح القبيلة أو البلاد، ومصالح الأمة. وانختلف العلماء في مدلول قوله «وشاورهم» هل هو للوجوب أو للنّدب، وهل هو خاص بالرّسول عليه الصّلاة والسلام أم عام له ولو لاة أمور الأمة كلّهم).

فذكر : (ذهب المالكية إلى الوجوب والعموم...) قال ابن عطية : الشورى من قواعد الشّريعة وعذائم الأحكام، ومن لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب. وهذا ما لا اختلف فيه واعتراض عليه ابن عرفة قوله: فعزله واجب، ولم يعرض كونها واجبة. (انظر المرجع المذكور في التفسير) وقد ذكر عديد الأقوال والآراء في تفسيره لمن أراد الرّجوع إليها).

وذكر فضيلة الأستاذ الشيخ حسين محمد مخلوف في تفسيره: «كلمات القرآن» ما يلي: «يتشارون ويتراءعون فيه» وفي الحديث النبوى الشريف : «المستشار مؤتمن فإذا استشير فليشر بما هو صانع لنفسه» رواه الطبراني في الأوسط عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وفي رواية أخرى «المستشار مؤتمن إن شاء أشار وإن شاء لم يشر» رواه الطبراني عن سمرة وهو حديث صحيح. والشّوري لا تكون إلا عند مخالطة الناس ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم». رواه أحمد في مستذه، والبخاري في الأدب، والترمذى، وابن ماجه عن ابن عمر.

وفي رواية أخرى: «المؤمن منفعة»: إن ماشيته نفعك وإن شاورته نفعك. وإن شاركته نفعك. وكل شيء من أمره منفعة» رواه أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر. ولهذا اعتبر الرّسول ﷺ أنّ في قوله: «المتمسّك بستّي عند فساد أمّتي له أجر شهيد» رواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة. وغيرها من الأحاديث المرشدة لصراط الله المستقيم.

فإذا أنيجت الشّوري ما ينفع الناس فحبّذا خصوصا إن كانت بإشراف الرّاسخين في العلم الذين قال الله تعالى عنهم في خصوص تأويل القرآن الكريم ﴿وَمَا يَعْلَمُ

تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ أَمَّا بِهِ كُلُّ مَنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَكُّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا وَهُبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ ﴿٨﴾ [سورة آل عمران: الآيات 7 - 8].

فعلى أهل الذكر والثقافة الإسلامية، والإرشاد الديني، أن ينفعوا الناس حسب توجيهات خاتم المرسلين ﷺ : «علموا ولا تعنفوا، فإن المعلم خير من المعنف» رواه الحارث وابن عدي في الكامل، والبيهقي في شعب الإيمان عن مجاهد. وكذلك دعوته التحلّي بالرفق «عليك بالرفق فإن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه» رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها. وفي رواية : «عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش» رواه البخاري في الأدب عن عائشة رضي الله عنها فهل يجوز بعد هذه التوجيهات النبوية الواضحة أن يغفل عنها من كان يريد تجنب كل ما يندرج في التواهي السابقة الذكر وغيرها الواردة في المصادر الإسلامية للدين الإسلامي المعتمد والميسّر؟

يقيناً لقد ذكر في القرآن الكريم ﴿وَلَقَدْ يَسَرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهُلْ مِنْ مُذَكَّرٍ﴾ «ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكور» [سورة القمر: آيات 17، 22، 32، 40] وذكر الله تعالى لرسوله ﴿فَإِنَّمَا يَسَرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدَّا﴾ [سورة مرريم آية: 97] أي قوماً أشداء الخصومة جمع لدود. يقال هو عدو لدود أي شديد الخصومة. (انظر المصحف المفسّر لمحمد فريد وجدي). وذكر في تفسير (يسّرناه بلسانك): أي سهّلناه بلغتك.

صدق الإمام سحنون في قوله: (من لم يعمل بعمله لم ينفعه العلم بل يضرّه وإنما العلم يضرّه الله في القلوب فإذا عمل به نور الله قلبه، وإن لم يعمل به وأحبّ الدنيا أعمى حبّ الدنيا قلبه ولم ينوره). وأصاب أبو سعيد سحنون بن سعيد في قوله : (مثل العلم القليل في الرجل الصالح مثل العين العذبة في الأرض الطيبة، ومثل العلم الكثير في الرجل غير الصالح مثل العين الحّارة في الأرض السّبخة تهور الليل والنّهار ولا يتنفع بها).

إذا كانت الشّوري مقصدتها الاستعana المؤدية للاستفادة والتثبت ولتجنب الواقع في الأخطاء التي توقع فيما لا يحمد عقباه. فاعتمادها في كل الأمور منفعة لمن يستشير خصوصاً إذا كان المستشار من أهل الخبرة والكفاءة والرأي السديد. وهذا ما يجعل الاستشارة تأمينا ووقاية في الموضوع المستشار فيه وعنه. ولهذا

كانت الاستشارة تتضمن معنى الاستعانة بآراء الآخرين لتجنب الخطأ والغلط، والوقوع في الضرر والإساءة للذات أو للغير ولهذا كان الدين الإسلامي يشجع على اعتماد الاستشارة في مختلف المواضيع والحالات سواء كانت في حدود الأسرة أو المجتمع أو الوطن، أو حتى الاستشارة في نطاق عالمي لاعتماد الأحسن والأفضل وتجنب الأسوأ والأخس.

وعلى هذا الأساس كان مفهوم النّظام الجمهوري في الدولة يتضمن مدلول الاستشارة بينما مفهوم الأنظمة الأخرى فيها ما يؤدي إلى غير الأفضل. ولذلك أنعم الله تعالى على عباده بالعقل ليعلوّوا به ويميزوا بين الطيب والخبيث، وبين الحسن والسيء، وبين المستقيم والمعوج، وبين النافع والضار. كما فضل سلوك الاعتدال في كل شيء لتجنب الغلوّ في مختلف الاتجاهات. وعلى هذا الأساس وهذا التوجّه كرم الله تعالى بني آدم وجعل الأمة الإسلامية أمّة وسطاً كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَقْلِبُ عَلَى عَقْبِيهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة البقرة آية : 143]. صدق الله العظيم.

سلسلة تراث الإمام الغزالى (في اصدار جديد بتحقيق الأستاذ الدكتور محمد احمد الشريـف)

صدرت في عمان -الأردن بتقدير وتحقيق الأستاذ الدكتور محمد احمد الشريـف مجموعة من مؤلفات حجة الإسلام الإمام ابو حـمد الغـزالـي رـحـمـهـ اللـهـ عـكـفـ عـلـىـ تـحـقـيقـهاـ وـتـدـقـيقـهاـ وـضـبـطـ نـصـوصـهاـ بـالـعـودـةـ إـلـىـ عـدـيدـ المـخـطـوـطـاتـ. الأـسـتـاذـ الدـكـتـورـ محمدـ اـحـمـدـ الشـرـيفـ شـكـرـ اللـهـ لـهـ جـهـدـهـ الـعـلـمـيـ وـنـفعـ بـهـ.

وهذه الكتب هي

- . المنقد من الضلال . بداية الهدـية . الجـامـعـوـمـ عـنـ عـلـمـ الـكـلـامـ. الرـسـالـةـ الـلـدـنـيـةـ
- . جواهر القرآن . ميزان العمل . فيصل التفرقة بين الإسلام والزنـدةـ.
- . في اعداد مجلة جوهر الإسلام القادمة نعرض للقراء هذا العمل العلمي الهام الذي أتحـفـ بـهـ الدـكـتـورـ الشـرـيفـ الـبـاحـثـينـ وـالـدارـسـينـ
- . وـقـرـاءـ مـؤـلـفـاتـ حـجـةـ الـإـسـلـامـ الـإـمـامـ الغـزالـيـ رـحـمـهـ اللـهـ.

مفاهيم إسلامية



اجعل نفسك ميزانا في ما بينك وبين الناس

بعلم الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

الخطأ شيء يلازم الإنسان كظله اذ انه خلق معه من يوم وجد فلا يسلم منه السلامه المطلقة إلا أولئك الذين تولاهم الله بعنتيه وأدبهم فاحسن تأدبيهم، وازال من قلوبهم حظ الشيطان وعصتهم بعصمته التي تجعل اجسامهم كالآلة المسخرة لغاية وتلك الغاية ليست غايتها الشخصية بل غاية المثل والفضائل التي من اجلها خلقوا وفي سبيلها بعثوا وبالتالي غاية خالقهم الذي لا يفهمون الرضى إلا اذا كان مقرونا برضاه ولا الغضب إلا اذا كان نائشا عما يغضبه، بيد ان هؤلاء الاخذاد بالرغم من قلتهم قد ارتحلوا عن دنيا الناس وتركوا كل عادي للعاديين امثالنا الذين تضبطهم مقاييس مترابطة ان لم تكن متساوية، هذه المقاييس كانت وما تزال وسوف تبقى ما بقي الكائن البشري تدور حول محور الخير والشر، وان الخير والشر في حد ذاتهما لمتمايزان تممايز الصدرين ومتباينان تباين المتناقضين غير ان اختلاط الخير بشر عارض وكذلك اشتتمال الشر على قشرة غير سميكة من الحلاوة المصنوعة أو المقدمات العكسية التي قد تسبق كلا منهما لحين. هذه الاشياء وما يشبهها هي التي تسبب في اغلب الاحيان اختلاف وجهات النظر في الخير والشر اذ قل من يفعل فعلًا يراه من أول وهلة شرًا محضاً واضحاً، وقل من يلمس بيديه نتائج الخير ويرى بعينيه اثاره الطيبة ويتأخر عن اتيانه أو القيام به ومن هنا جاء دور الفلسفات والديانات السماوية المطهرة فهي التي تجنب الناس كثيراً من الاختلاف الغير المجدى في تحديد الشر والخير

وتوفر عليهم كثيرا من الجهد العقلية والعملية التي تحتاج إليها حياة الإنسان المعقدة والمليئة بالمشاكل والمسؤوليات، ولا يغضض من قيمة تلك الرسائل والفلسفات تجاهل المتجاهلين لدورها الرئيسي الفعال ولا ادعاء الذين يزعمون ان في امكانهم ان يتحفوا الإنسانية بما هو خير منها او على الاقل ان يصوبوا بعض اخطائهم المزمنة حسبما يزعمون!

ان هذا فهو اعظم لون من الوان الانحراف الفكري والعاطفي الذي يعطى مجريات الحياة الطبيعية للاشياء ويحدث التداخل في كثير من المفاهيم الواضحة المحددة . ولقد كانت هذه مأساة الفكر الإنساني والضمير الإنساني الاولى التي عطلت وما زالت تعطل رحمة الإنسان نحو عالم الخير والفضيلة والمثال، ومهما حاول الراشدون من بني الإنسان ان يتجنبوا البشرية ما تموج فيه من مثبطات وعمرقارات فان صيحاتهم تذهب ادراج الرياح ويرمى الكثير منهم بالقصور الذهني والجمود حتى يتخلل ضعفاء الارادة والایمان عن الاصداع بالحق والدعوة إليه وأنهذ يختلط الحابل بالنابل ويستوي العالم والجاهل، هذه لعمري اولى دواعي الاختلاف واهمها لأنها ضلال عن علم، ولأنها تمس جوهر الاشياء في قواعدها واصولها.

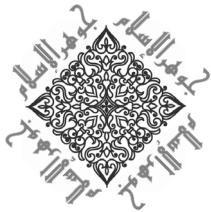
والى جانبها تكمن داهية أخرى تقاد تصل إليها في الحجم والقيمة هذه الداهية هي ما يمكن ان نسميه اختلال موازين الضبط والتقييم عند الناس وهذا الاختلال بلغ من الشيوخ والذيوخ إلى درجة انه اصبح لا يحسب له حساب ولا يقع التنبه إليه كانه مما عمت به البلوى أو كانه هو رمز الاختلال ذاته أو طلسه المعقّد ذلك انك ترى من يبهرك تفكيره ويسحرك تعبيره تراه يجسم فكرة اجتماعية أو يحقق حقيقة اخلاقية فيحيط بالموضوع من جميع جوانبه ويوشك ان يخرجه إلى عالم المشاهدة فيستعرض كثيرا من الصور الواقعية الناطقة لمستخلص منها العبرة ونجعلها نموذجا حيا يعبر عن تلك الحقيقة التي لا يكاد يختلف فيها اثنان والتي آمن بها مخاطبك ايمانا كلية جعله يتھمس لما يقول وهو صادق في ايمانه وتحمسه ولم يقصد ابدا ان يكون من المنافقين الذين يقولون ما لا يفعلون وليس له أية غاية أو حزارة تدفعه إلى التھمس واستعمال جميع وسائل الاقناع بل الطيبة هي التي دفعته إلى كل ذلك وقد تتملك الحيرة ويستولي عليك الذهول ولك العذر في ذلك عندما تراه يترك نوعا من انواع ذلك الواجب الذي دعا إليه أو يفعل ما يتنافي من قريب أو بعيد مع تلك الخطئه التي يندد بها ويندد بمقترفيها وتقول في نعمة صارخة يا للتناقض ويا

للنفاق!! وليس هناك في الحقيقة أي شيء من النفاق والتناقض المقصود، إنما اختلاف موازين الضبط والتقييم فقط هو الذي سبب ما شاهدت وما سمعت فلم يقصد المسكين تماماً أن يفعل ما يذم عليه ولا أن يترك ما يلام على تركه وما ظن إلا أن الذي فعله هو من نوع مما فعله الآخرون الذين استحقوا نقمته الصارخة فكانه لا يعرف للكذب إلا لوناً واحداً أو لونين ولا يعرف للغدر إلا صورة واحدة أو صورتين ولا يعرف لنقض العهد إلا نوعاً واحداً أو نوعين وإن ما أتي به هو ليس من ذلك القبيل وهو مؤمن أشد اليمان بأنه ليس كذلك حتى إذا ما مكنك من فرصة التحدث إليه في أجواء صافية وفي أخوة لم يتذكر صفوها وأخذته بالتي هي أحسن إذا أوقفته على النتيجة الواحدة لعمله وعمل الآخرين رأيته يفتح عينيه وفمه في حيرة وذهول ثم لا يلبث أن يعتذر ويتوسل.

هذا النوع من الناس وهو موجود بكثرة لا يمكن ان ننسبه إلى الجهل ولا إلى المكر والالتواء بل نسبة فقط إلى الغفلة وفساد في الميزان وخير ما نقوله في مثل هذه الحال ما قالته العامة (الجمل لا يرى اعوجاج رقبته) وأفضل تحفة نقدمها لأنفسنا قوله قول الإمام علي كرم الله وجهه لولده (ابني اجعل نفسك ميزاناً في ما بينك وبين الناس).

من مؤلفات العلامة الشيخ عبد الله بن بية رئيس منتدى تعزيز السلام ورئيس مجلس الإمارات للافتاء الشرعي.

- . سد الذرائع وتطبيقاته في مجال العاملات.
- . صناعة الفتوى وفقه الأقليات.
- . الإرهاب التشخيص والحلول.
- . تبيه المراجع على تصصيل فقه الواقع.
- . مشاهد من المقاصد.
- . مقاصد المعاملات ومراسيد الواقع.
- . توضيح أوجه الاختلاف في مسائل من معاملات الأموال.
- إلى جانب عديد العناوين الأخرى التي افاد ولا يزال يفيد بها فضيلته امد الله في أنفاسه الباحثين والدارسين.



الإِحْرَام : أَوْلُ الشُّعُور بِالشُّرُوع فِي مَنَاسِكِ الْحَجَّ أَوِ الْعُمْرَة

بِقَلْمِ الشَّيْخِ صَالِحِ الْعَوْد
مُجَازٌ فِي عِلْمِ الشَّرِيعَةِ مِنْ جَامِعَةِ الْأَزْهَرِ

إِنَّ مَفْهُومَ (الإِحْرَام) فِي الشَّرِيعَةِ الْحَنِيفِ يَعْنِي — كَمَا جَاءَ فِي كِتَابٍ: تَحْرِيرِ التَّنبِيهِ لِلإِمامِ النَّوْوَى / ص. 159 — : «نِيَّةُ الدُّخُولِ فِي حِجَّةٍ أَوْ عُمْرَةً؛ سُمِّيَّ (إِحْرَامًا) لِأَنَّهُ يَمْنَعُ مِنَ الْمُحَظُورَاتِ^(١) كُلُّهَا». .

وَقَالَ الدَّكْتُورُ نُورُ الدِّينِ عَطْرُ رَحْمَهُ اللَّهُ (رَئِيسُ قَسْمِ عِلْمَ الْقُرْآنِ وَالسُّنْنَةِ بِجَامِعَةِ دَمْشَقِ)، فِي كِتَابِهِ: تَعْلِمُ كِيفَ تَحِجُّ وَتَعْتَمِرُ / ص. 10، مَا نَصَّهُ: «الإِحْرَامُ هُوَ أَشَهَرُ شَرْوَطٍ صِحَّةُ الْحَجَّ، وَهُوَ كَالْيَةُ لِلصَّلَاةِ؛ وَيَقْعُدُ الْخَطَأُ فِيهِ كَثِيرًا لِلنَّاسِ؛ وَيَظْنُ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ مَجْرِدُ ارْتِدَاءِ ثِيَابِ الإِحْرَامِ الْخَاصَّةِ». .

وَمَا بَعْدَ هَذِهِ النِّيَّةِ الْحَسَنَةِ وَالطَّيِّبَةِ، فَعَلَى الْحَاجِ أَوِ الْمُعْتَمِرِ، التَّجَرِيدُ النَّهَائِيُّ مِنْ أَثْوَابِهِ الَّتِي اعْتَادَ عَلَيْهَا يَوْمِيَا، لِيُسْتَعْمَلَ غَيْرُهَا، أَبْسِطُ مِنْهَا وَأَقْرَبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى: وَهِيَ رَدَاءُ لِأَعْلَى الْجَسْمِ، وَإِزارٌ لِأَسْفَلِهِ، فَهُمَا قَطْعَتَانِ مِنَ الْقَمَاشِ الْأَبْيَضِ؛ أَمَّا الْمَرْأَةُ فَتَبْقَى فِي أَثْوَابِهَا كَمَا هِيَ، وَالْأُولَى أَنْ تَتَخَذْ ثِيَابًا بِيَضَاءِ.

(١) أَيِّ الْمُمْنَعَاتِ.

وفي هذا المنظر الجديد غير المألوف حكمة بالغة، وهي «أن تلك الثياب لا تتفاوت عن الثياب التي يلف فيها الإنسان حين يموت ويدرج بأكفانه الشبيهة في قبره، ليلقى بها الله يوم القيمة مثلاً بمثل».

ومن هنا، يكون الحاج (ة) أو المعتمر(ة) قد استعد للالتزام بما يُملّى عليه من أحكام، حتى يقبل الله عبادته وسائر مناسكه المأمور بها في الشرع الشريف؛ والحقيقة، أن تلك الالتزامات عديدة ومتشعبّة، وكأنّها في نظري: امتحان صارم، يقوم به من انخرط فيه، ليعلّم فيما بعد نجاحه أم رُسُوبه، ولا فرق في هذا، بين رجل أو امرأة، صغير أو كبير، وذلك عندي كما قال تعالى في حق إبراهيم عليه السلام حين هيأ بيت الله الحرام للحجّاج والعمّار والزوار: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 131].

ومن أهم وأجل محظورات الإحرام - كما جاءت في كتب الفقه عامّة والمناسك خاصّة: (خمسة) أحكام أساسية وهي: - التجرّد من المحيط بأنواعه وأشكاله.

2 - عدم التصرّف بما يتعلّق بالبدن⁽¹⁾. 3 - صيد الحيوان في الحرم أو إيذاؤه⁽²⁾. 4 - الجماع أو مقدّماته⁽³⁾. 5 - الفسق والجّدل، ومنه: الشتم والسب⁽⁴⁾ والازدراء. وللحجّ⁽⁵⁾ أو العمرة مواقف محدّدة من الشارع الحكيم كي تؤدّي هذه العبادة المباركة على الأصح فتُقبل عند الله تعالى؛ وهي نوعان:

1. ميقات زمامي.
2. ميقات مكاني.

فالأول جاء تعينه في القرآن الكريم: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ [البقرة: 197]، وهي على الأشهر من الأقوال عند المفسرين من الصحابة والتّابعين: شهر شوال، وذو القعدة وعشر الأيام الأولى من ذي الحجّة⁽⁶⁾. أمّا الثاني، فقد حدّدته السنة النبوية

(1) كالحلق، وقطع الأظافر، والتعطر، وتنف الشعر.

(2) ومنه أكل ما صاده محرم آخر. أمّا قتل الهوام المؤذية فجائز ولو في الحرم، وقد ثبت في الحديث الشريف جواز قتل خمس منها بعينها.

(3) مثل اللمس بقصد الشهوة، وكذلك التقبيل، كما يدخل في المسألة الكلام في أغراض جنسية.

(4) كما أشارت الآية الكريمة: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجَّ﴾ [البقرة: 197].

(5) بأنواعه الثلاثة: الإفراد، والتّمتع والقرآن

(6) وهو الذي نصّ عليه حبْر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما من الصحابة، والستي وغيره من التابعين.

الشريفة، وقد جاء ذكرها في كتاب الحجّ من صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وبناءً على ذلك، «فَمَنْ تَجَاوزَ مِيقَاتَ إِحْرَامِهِ، وَهُوَ يَنْوِي الْحَجَّ أَوِ الْعُمْرَةِ دُونَ أَنْ يُحِرِّمَ، فَقَدْ أَثْمَ»^(١).

وأخيراً وليس آخرًا، فإن لعبادة الحجّ المقدّسة عندنا نحن المسلمين والمسلمات في جميع أنحاء المعمورة، أربعة أركان بلا خلاف عند جميع الفقهاء من سائر الأئمة، وعلماء الأمة، وهي: ١— الإحرام. ٢— الوقوف بعرفة. ٣— طواف الإفاضة.

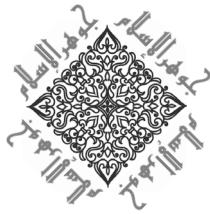
٤— السعي بين الصفا والمروءة.

وللتبيّه، فإن كل هذه المحظورات، وسائل الالتزامات الشرعية التي تخصّ كل حاج (ة) أو معتمر (ة)، إنّما تعود في الأصل إلى «العلاقة الوطيدة» بين الناسك (ة) وربّه، وكذلك بين المسلم (ة) وأخيه المسلم (ة) في فترة الإحرام المُسَيَّحة: من البداية حتى النهاية.

ومسْك الختام: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تَابَعُوا بَيْنَ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ، كَمَا يَنْفِيُ الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ، وَالْذَّهَبِ وَالْفَضْيَةِ؛ وَلَيْسَ لِلْحَاجَةِ الْمُبَرُّوْرَةِ ثَوَابٌ إِلَّا جَنَّةً» آخر جهه الأئمة: النسائي وابن ماجة، وابن حزم وابن حبان في صحيحه.^(٢)

ومن باب الصيحة والإرشاد، أقول، ومن الله تعالى الرضا والقبول: فَمَنْ وُفِّقَ وَهُدِيَ إِلَى القيام بأداء مناسك الحجّ أو العمرة، والزيارة إلى المدينة المنورة، فليلتزم بهذه الآداب الهامة، وهي: ١— الإخلاص لله تعالى. ٢— التوبة من الذنوب صغیرها وكبیرها. ٣— قضاء الديون وأداء الحقوق المترتبة في الذمة. ٤— الزاد الحلال. ٥— حسن المعاملة عند الذهاب والإياب. ٦— الاستغفال بالعبادة، وحضور مجالس العلم، والحرص على أداء الفرائض مع الجماعة في الحرمين الشريفين؛ واقرأ في الموضوع مثل كتابي هذا: (الحج إلى بيت الله الحرام: نعمة وحكمة) وهو مطبوع.

(١) «وعليه أن يرجع إلى الميقات ليحرم منه، فإن لم يستطع أحراً حيث هو وعليه دم». / مقال للدكتور محمد الدسوقي في مجلة منار الإسلام عدد ١١ سنة ١٩٨٢ م / ص. ١٨.



(حول الأحرام من جدة)

فتوى سماحة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله

إحرام المسافر إلى الحج في المركبة الجوية يكون في جدة:
معنى السؤال: ان المسافر بالطائرة لا يمر بالميقات، فإذا نزل جدة ولم يحرم
بالطائرة هل يكون متتجاوزاً للميقات؟ وهل عليه هدي؟

الجواب : تردد النظر بين إلحاق حكم راكب الطائرة بحكم راكب السفينة إذا كان
محل نزوله بأرض الحجاز متتجاوزاً ميقات الإحرام المعين لأهل الفقه.

فروى ابن نافع عن مالك: لا يحرم الحاج في السفينة ، وهذا يحتمل وجوب
النزول إلى الميقات وفيه مشقة ينبعي نفيها عن الدين. ويحتمل أن يريد أنه يرخص له
تأخير الإحرام إلى النزول إلى الأرض. وروى في النوادر عن محمد بن المواز قال
مالك : من حج في البحر من أهل مصر وشبههم يحرم إذا حاذى الجحفة .

وظاهره أن ذلك حكم إحرامه، ولا يجوز له تجاوز سمت المحاذاة غير محروم
بالنية والتجرد من مخيط الثياب.

وفصل سند فقال : إن كان المسافر في البحر محاذياً للبر مثل السفر في بحر القلزم
أحرم إذا حاذى ميقات أفقه؛ لأنه يمكنه النزول إلى البر ليحرم من ميقاته (أي: بدون
مشقة؛ لأن البر قريب).

ويجوز تأخير الإحرام للمسافة لكن عليه هدي؛ لأن التأخير رخصة والرخصة تدفع الإثم في التجاوز ولا تسقط وجوب الهدى.

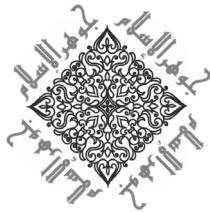
وأما من سافر في بحر لا يحاذى الشواطئ مثل بحر الهند وبحر اليمن وبحر عيذاب ، فيجوز له تأخير الإحرام ولا هدي عليه؛ لأنه إذا جاز له التأخير انتفى وجوب الهدى حتى يدل دليل على وجوب الهدى مع جواز التأخير ولا دليل عليه، فلا يحرم حتى يصل إلى البر إلا أن يخرج على البر أبعد من ميقات أفقه . ووافقه القرافي في الذخيرة وابن عرفة والتادلي ، وابن فر 혼 في شرح ابن الحاجب وفي مناسكه. قال الحطاب: وشاهدت الوالدى يفتى به غير مرة .

وأقول: الحق أنه لا يحرم حتى ينزل إلى البر لأن تكليف التزول في أثناء السير لأجل الإحرام مشقة، وتکلیفه‌م الإحرام في السفينة مشقة أيضاً لطول مدة التجدد ولو زام الإحرام.

أما المسافر في الطائرة فهو لا يمر بالأرض أصلاً، ولا يتصور فيه إمكان النزول قبل الوصول إلى المنازل الملائمة لنزول الطيارة، فلا يتصور فيه إمكان النزول حتى يرخص له التفادي عنه بالإحرام في الطيارة، ولأن الإحرام في الطيارة مشقة ومضرة لشدة برودة الجو ويحتاج إلى التدثر بالثياب، وفي الغالب لا يوجد في ثياب الإحرام ما يصلح للتدثر.

هذا وأما موقع الإحرام في صور من لا يحرم حتى ينزل إلى البر ففي شرح الحطاب عن سند: لا يرحل الحاج من جدة إلا محروماً؛ لأن جواز التأخير إنما كان للضرورة. وهل يحرم إذا وصل البر أو إذا ظعن من جدة؟ الظاهر إذا ظعن؛ لأن سنة من أحرم وقدد البيت أن يتصل إهلاله بالمسير⁽¹⁾.

(1) انظر ص 817 وما بعدها، الفتاوی التونسیة في القرن الرابع عشر الهجري جمع وتحقيق الدكتور محمد بن يونس السویسي، (دار سحقون للنشر والتوزیع)، الجزء الثاني.



قراءة في موسوعة الحج والعمرة

تأليف الدكتور قطب مصطفى سانو
الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي الدولي
عرض وتقديم الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

موسوعة الحج والعمرة (عربي وإنجليزي) هي أول موسوعة عصرية ميسرة تحتوي على تعريف مبسط بأكثر من ثمانمائة مصطلح (800) من المصطلحات الحج والعمرة والزيارة كما تتضمن بياناً وافياً للأحكام الشرعية المتعلقة بتلك المصطلحات فيما يزيد على 450 صفحة من تأليف الأستاذ الدكتور قطب مصطفى سانو الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة التعاون الإسلامي بجدة. (مفكرون للنشر والتوزيع)

صدرت طبعتها الثالثة في 23 شوال 1442 هـ / 4 جوان 2021 م. وقد جاءت هذه الموسوعة مرتبة على الترتيب الألف بائي.

وقد صدر المؤلف الدكتور قطب مصطفى سانو بعد المقدمة بالتعريف بالموسوعة غاية ومنهجاً ومصدراً مذكراً بالأطوار التي مرت بها منذ الشروع في إعدادها عام 1422هـ الموافق لـ 2002 م وذلك بجمع التعريفات والمعاني الواردة لمصطلحات الحج والعمرة وبيان الحكم والأسرار المرتبطة بالمصطلحات والأحكام الشرعية المتعلقة بالمصطلحات ومصادر ومراجع الموسوعة. والترتيب الألف بائي لمواد الموسوعة والمصطلح الإنجليزي مقابل المصطلح العربي.

ومما جاء في مقدمة الطبعة قول المؤلف (فإن على الغيارى والجادين من أهل العلم والفقه والأصول والمقاصد أن يشملوا سائر الآراء والفتاوي المتعلقة بمسائل الحج والعمرة والزيارة جانب النقد البناء والمراجعة الحصيفة في ضوء الأصول العامة للشرعية الغراء ووفقاً لمقاصد المشرع الحكيم الخاصة بأحكام الحج والعمرة والتفاتا إلى المآلات المعتبرة من التشريع بحيث يتم تجاوز كل رأي فقهى تليد إذا باتت مدعاة إلى إدخال العنت الشديد والمشقة غير المعتادة على الحاج والمعتمر والزائر إنه ينبغي أن تكون عدة أولئك العالمين النابهين المحققين استصحاب ذلك التوجيه النبوى الحالى (افعل ولا حرج) كما ينبغي أن يكون مستندهم الدائم تلك القواعد المحكمات التي تقرر بشكل جلى واضح بأن الحرج في شرعنا مدفوع وأن الأمر في ديننا إذا ضاق اتسع وإذا اتسع ضاق وأن الضرورات في ملتنا تبيح المحظورات والحاجة العامة تنزل منزلة الضرورة).

ويمضي الدكتور قطب مصطفى سانو قائلاً (وعلى العموم من الحرى بالترير أن هذه الطبعة (الثالثة) تنتظم دعوة ملخصة من الأعمق للسادة الفقهاء المعاصرین الكرام ليتجاوزوا كل رأى فقهى أو فتوى فقهية قديمة أو جديدة إذا بات تطبيقها مدعاة إلى إدخال العنت والضيق والمشقة غير المعتادة على الحاج والمعتمر والزائر كما تنتظم دعوة ملخصة لأولئك المحققين الجادين من أهل العلم بالفقه والأصول والمقاصد إلى المضي قدماً في تجلية مزيد من المقاصد الشرعية الثانوية بين جنبات النصوص الواردة في الحج والعمرة والزيارة وذلك قصد الاحتكام إليها عند الهم بالترجح بين الآراء الفقهية المختلفة فيها إزاء مسألة من مسائل الحج والعمرة والزيارة.

يقول الدكتور قطب مصطفى سانو (وانطلاقاً من هاتين الدعوتين المتواضعتين فقد انتهينا إلى دعوة أصحاب الفضيلة فقهاءنا الأعزاء المعاصرين والمسؤولين القائمين على تنظيم شؤون الحج في بلاد الحرمين الشريفين حماماً الله إلى السماح للحجيج بمعادرة عرفات بعد الزوال على دفعات وبصورة مبرمجة ومنتظمة وذلك بعد أدائهم صلاتي الظهر والعصر قصراً وجمعوا تجاوزاً لذلك الرأى الفقهي السائد الذي يوجب عليهم جميعاً البقاء بعرفات إلى غروب الشمس، إذ أننا نعتقد بأن ذلك الرأى بات رأياً مرجوهاً ينبغي الاستغناء عنه، وتجاوزه إلى رأى يجيز للحجيج مغادرة عرفة قبل الغروب، ولا يجب عليهم دم، كما لا يتربّ على مغادرتهم أي أثر على حجهم)

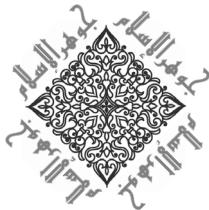
ثم يورد الدكتور قطب مصطفى سانو ما اعتمد عليه في دعوته إلى عدم لزوم بقاء الحجيج على عرفة إلى ما بعد غروب الشمس في نقاط أوردها الواحدة تلو الأخرى مدعماً بها الرأي الذي دعا إلى الأخذ به باعتباره داخلاً تحت قوله عليه الصلاة والسلام (افعل ولا حرج).

وهذه القضية الهامة التي أدلى فيها الدكتور قطب مصطفى سانو برأيه المستند إلى الأدلة الشرعية والعقلية، ليست هي الوحيدة بل نجد لها نظائر من مثل المبيت في مني ومن مثل الإحرام من جدة حيث يقول (وإننا نرى والله أعلم أن في الأمر سعة . ذلك لأن المقصد الشرعي الأسنى من وجوب الإحرام من المواقف المذكورة هو تحريم دخول الحاج إلى الحرم دون إحرام من هذه المنافذ التي كان يقدم الحاج والمعتمر في عهد رسول الله ﷺ . واعتباراً بأن جدة، لم تكن يومئذ مدينة أو محطة ينزل فيها الحجاج والعمار لذلك فإننا نرى أنه لا مانع اليوم من مشروعية الإحرام من جدة وذلك إعمالاً للذات الأصل القائم على الاجتihad المصلحي المقاصدي الواقعي الذي استند إليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما اعتبر ذات عرق ميقاتاً لأهل العراق الذين أصبحوا في عصره يقدموه إلى الحرم . وبما أن الناس أمسوا اليوم يقدموه من مدينة جدة إلى الحرم فإن الاجتihad المصلحي المقاصدي يتضمن الاعتداد بها ميقاتاً لمن أتى عليها وخاصة وأن المقصد من تحديد تلك المواقف عدم قدوم المحرم إلى الحرم بدون إحرام . ويتحقق هذا المقصد السامي بالإحرام من جدة قبل دخول الحرم الشريف) انظر الصفحة 44 وما قبلها .

وقد تضمنت موسوعة الحج والعمرة العديد من الآراء والاجتهادات التي تمضي في هذا الدرب المبني على التيسير ورفع الحرج عن الحجيج وهو ما تشتد إليه الحاجة في هذا الزمن الذي تضاعفت فيه أعداد حجيج بيت الله الحرام آلاف المرات مما كانت عليه في العصور الماضية مما يستوجب على فقهاء الإسلام أن يراعوه فيما يصدر عنهم من فتاوى في الحج والعمره . (ويجد القارئ في هذا العدد من مجلة جوهر الإسلام نص فتوى سماحة الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله في نفس الموضوع حول جواز الإحرام من جدة).

وبعد فهذا عرض سريع لا يغني عن العودة إلى هذه الموسوعة العصرية الميسرة في كل ما يتعلق بالحج والعمرة والزيارة .

خطبة الجمعة



قراءة في بعض ما تضمنته خطبة رسول الله ﷺ في حجة الوداع^(١)

الحمد لله الواحد القهار المنزه عن كل شريك ونَدْ سبحانه دعانا إلى التقارب والتحابب ونهانا عما يُؤول بنا إلى التنازع والتخاصم والتباغض . ونشهد أن لا إله إلا الله ربنا المعبود شهادة نعدّها لليوم المشهود .

ونشهد أن سيداً مهداً عبده ورسوله ختم به الله النبوة والرسالة وخصّه بدين الإسلام، الدين الذي رضيه للناس كافة، أكمله الله وأتمّ به علينا النعمة ووقف عليه الصلاة والسلام يوم الحج الأكبر يتلو على من حضر قوله ﴿إِلَيْهِ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيَنًا﴾ . فكان ذلك اليوم يوم مشهوداً ألقى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبه في حجة الوداع تلك الخطبة العصماء الجديرة بالوقوف عندها وتدارس ما ورد فيها من هدي قويم فيه صلاح الأمة وفلاحها .

ورد نص هذه الخطبة في الصحاح: في البخاري ومسلم وأوردها البيهقي وأبو داود والبغوي والطبراني ووردت في المشكاة والبداية وأحمد في روایات تکاد تتطابق .

وهي من جوامع كلامه عليه الصلاة والسلام لم يترك أمراً من أمور الدين والدنيا فيه الخير إلا وأرشد إليه ولم يترك ضرراً وشراً إلا وحذر منه ونهى عنه . نقف عند هذه الخطبة لما فيها من هدي قويم يرشد مسارنا ويصلح أحوالنا إمثالاً لأمر ربنا في

(١) نص خطبة جمعة ألقاها الشيخ محمد صلاح الدين المستاوي في جامع المركب الإسلامي بالبحيرة، تونس

كتابه العزيز ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ وقوله جل من قائل ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ﴾ وقوله سبحانه وتعالى ﴿فَلَا وَرَبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَحِدُّوْا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

وقوله عليه الصلاة والسلام بعد حمده لله والاستعاة به واستغفاره والتعوذ به من شرور النفس وسیئات الأعمال وبعد الشهادة لله بالوحدانية ولمحمد بالرسالة والتوصية بتقوى الله وطاعته.

ثم قال عليه الصلاة والسلام [أيها الناس اسمعوا مني أبین لكم فإني لا أدرى لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا]. ففهمته عليه الصلاة والسلام الأساسية هي البيان وهي مهمة نص عليها الكتاب وأمره بها الله تبارك وتعالى ﴿لِتُبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ﴾. وقد بين عليه الصلاة والسلام بأقواله وأفعاله واقراراته وكل تلك ستة الموسى بها اليه (وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى) ولو لا بيانه عليه الصلاة والسلام لما أمكن للمسلم أن يتمثل لأوامر ربه بإقامة الصلاة وأداء الركبة وحج البيت وصيام رمضان فقد صلى بالناس وقال لهم (صلوا كما رأيتمني أصلي) وحج بهم وقال (خذدوا عني مناسككم).

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (فإنني لا أدرى لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا)، انه التسليم من رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه ما بعد التمام والكمال إلا النقصان وأنه ملتحق ببارئه الذي قهر عباده بالموت ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانِ وَيَقْعِي وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾، ورسول الله صلى الله عليه وسلم نعاه ربه إلى نفسه وهو لا يزال على قيد الحياة فقال له جل من قائل ﴿إِنَّكَ مَيْتٌ وَإِنَّهُمْ مَيْتُونَ﴾، وذكر الله تبارك وتعالى من يمكن أن يغفلوا عن هذه الحقيقة من سكن حب رسول الله صلى الله عليه وسلم قلوبهم فلا يتصورون أنه راحل إلى دار البقاء ملتحق ببارئه كما وقع لسيدنا عمر رضي الله عنه الذي قال لما بلغه نباء وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قال ان محمدا قد مات قطعت عنقه)، فما كان من سيدنا أبي بكر رضي الله عنه (لأن تلى عليه قول الله تبارك وتعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِّلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾).

فقد كانت حجة الوداع آخر حجة حجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي حجته الوحيدة بعدبعثة وقد حج قبل ذلك.

فطبيعي أن يضمّن خطبته في حجة الوداع معالم الدين وطبيعي أن تتضمن آخر ما أوصى به الرسول صلى الله عليه وسلم أمته من بعده وكان عليه الصلاة والسلام عقب كل فقرة من فقرات هذه الخطبة يقول .(ألا هل بلغت اللهم فأشهد ،ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب).

وأمة الإسلام هي أمة الشهادة على كل الأمم الأخرى كما نص على ذلك الكتاب العزيز (لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا).

وشهادة أمة الإسلام على بقية الأمم الأخرى ينبغي أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة فلا اكراه في الدين بذلك خاطب الله رسوله الكريم ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾، وذلك هو سبيل أنته دعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ومجادلة بالتي هي أحسن.

والأهم من كل ذلك هو أن يبلغ المسلمون دين الإسلام باتباع أوامره واجتناب نواهيه والتمسك بهديه القويم في السلوك والمعاملة وتلك هي دعوة الحال وهي أبلغ ألف مرة من دعوة المقال التي لا تتطابق فيها الأقوال مع الأفعال والعمل مع الممارسة. ففي اختلاف الأقوال عن الأفعال النفاق الذي حذر الله عباده منه حيث قال جل من قائل: ﴿لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرْ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ فمصير المنافقين هو الدرك الأسفل من النار ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدُّرُكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ وللنفاق علامات بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : (آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان)، وفي رواية إذا خاصل فجر.

والنفاق يظهر في الرخاء ويغيب في الشدائـد وقد ظهر النفاق في المدينة عندما أقبلت الدنيا بمعرياتها التي حذر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال (انما الأفعال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهو هجرة إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهو هجرة إلى ما هاجر إليه).

وقد خص رسول الله ﷺ صاحبه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه بأسماء المناقفين واحداً واحداً وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك الوقاف عند حدود الله الشديد الخشية لله والذي رغم أنه المبشر بالجنة ورغم أنه نزل القرآن يصدقه وينحاز إلى رأيه عديد المرات كان يستحلف حذيفة ويقول له (سالتك بالله يا حذيفة هل ذكرني لك رسول الله صلى الله عليه وسلم) وكان لا يصلى على جنازة لا يحضرها حذيفة.

بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتذكير بحرمة الدماء والأموال فقال (أيها الناس ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا هل بلغت اللهم فأشهد).

فالنفس البشرية لها حرمة وحرمتها هي كحرمة البلد الحرام مكة المكرمة التي لا رفت فيها ولا فسوق ولا سفك لدماء، أمن الله الداخل إلى البيت الحرام والبلد الحرام **﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾**. يقول جل من قائل **﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾** في سورة الأنعام - الآية 151، ويقول **﴿وَمَنْ يَقْتُلُ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَّ أُفُوهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾** (سورة النساء - الآية 93) ويقول **﴿مَنْ أَجْلَ ذَلِكَ كَتَبَنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَانَمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾** (المائدة - الآية 22).

قال ابن عباس من قتل نفساً واحدة وانتهك حرمتها فهو مثل من قتل الناس جميعاً قال ابن حجر في هذه الآية تغليظ أمر القتل والمبالغة الشديدة في الزجر عنه وتوكيده لحق الحياة الإنسانية حتى لا يضار فيها أحد بغير حق). وقال الحسن البصري (فكانما قتل الناس جميعاً في الوزر). وقال مجاهد (المعنى أن الذي يقتل النفس المؤمنة متعمداً جعل الله جزاءه جهنم وغضب عليه وأعد له عذاباً عظيماً)، وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب بما حراماً، رواه البخاري).

الفسحة المهللة والسعفة والمعنى أنه يضيق عليه دينه ولا تقوم أجور أعماله الصالحة بإثام ظلمه بسبب الوعيد على من قتل مؤمناً متعمداً بغير حق). كما حرم الإسلام قتل غير المسلمين من المعاهدين ممن هم في ذمة المسلمين. عن عبد الله بن عمرو رضي

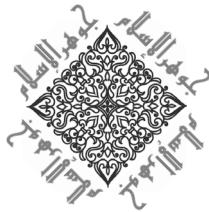
الله عنهمَا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من قتل معاهداً لم ير ريح الجنة وإن ريحها لتوجد من مسيرة أربعين عاماً)، البخاري.

روى البراء ابن عازب أن رسول الله ﷺ قال (لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق)، رواه ابن ماجة.

قال عليه الصلاة والسلام (كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يقتل مؤمناً متعمداً أو الرجل يموت كافراً)، رواه أبو داود والنسائي وقال رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (اجتنبوا السبع الموبقات قيل وما هي يا رسول الله؟ قال: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق والتولي يوم الزحف وقدف المحسنات المؤمنات الغافلات)، أخر جه البخاري.

ثم عاد رسول الله ﷺ في آخر الخطبة فذكر بحرمة النفس البشرية محذراً أمته من العودة إلى ما كانت عليه في الجاهلية قال عليه الصلاة والسلام (فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض فإني تركت فيكم ما انأخذتم به لن تتصلوا بعدي كتاب الله ألا هل بلغت اللهم فأشهد)، فكان الله تبارك وتعالى كشف لرسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من وراء الغيب ما سيؤول إليه أمر أمته في آخر الزمان كيف يسفك بعضهم دماء بعض تستوي لديهم الأيام والأشهر لا يراعون حق الاخوة فيفعلون ببعضهم البعض ما لا يفعله العدو بعدهم نسوا ما ذكروا به في كتاب الله (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فالله بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكتنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها).

نسوا وتناسوا ما أوصاهم به رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أن المسلمين للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه البعض ونسوا ما شبه به رسول الله ﷺ المؤمنين في توادّهم وتراحمهم فهم ينبغي أن يكونوا كالجسد الواحد إذا اشتكت منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى) رحمة بينهم أمنا وسلاماً ورأفة ورحمة ورفقا ولينا إذ المسلم الحق هو من سلم الناس من لسانه ويده والمؤمن الحق هو من أمنه الناس على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم.



القاضي الشيخ يوسف بن يوسف من أعلام الاجتهد في علم المواريث الشرعية ومجلة الأحوال الشخصية

بعلم الدكتور الصحراوي قمعون
باحث في علوم الإعلام والصحافة

يعتبر القاضي والعالم الشيخ يوسف بن الحاج فرج بن يوسف، أحد القضاة البارزين، وأحد علماء الفقه، أثرى المكتبة القانونية بكتاب مرجع تركه للأجيال اللاحقة بعنوان «المواريث الشرعية والوصية ومجلة الأحوال الشخصية». وقد وصف من طرف أحد العلماء الذين زاملهم في المجلس الإسلامي الأعلى بأنه «عالم وطني غير ذو قيمة علمية وماضي نضالي كبير».

ولد هذا العلم عام 1921 بمدينة اكودة وتوفي بها عام 2014. وقد درس في جامع الزيتونة وتولى الإشهاد والقضاء في محكمة سوسة وصفاقس. كما تولى الرئاسة الشرفية لمحكمة الاستئناف بالمنستير وعضوية المجلس الإسلامي الأعلى. وقد باشر في بداياته الإشهاد في سوسة مع الشيخ المصلح سالم بن حميده، الملقب بـ «فليسوف الساحل» وصاحب كتاب «الزهريات». ثم وقع انتدابه كعدل منشئ بالمحكمة الشرعية بسوسة مع الشيخ القاضي محمد القرولي.

شارك الشيخ يوسف بفاعلية في الحركة التحريرية لنيل الاستقلال الوطني. وكان منزله في اكودة قبلة المناضلين والمقاومين للاستعمار العاشم، مما جعله يتعرض للإيقاف والسبعين في محتشد زعور الرهيب بجهة بنزرت. وبعد الاستقلال واستقرار الأوضاع قام الرعيم الحبيب بورقيبة بتكليفه، نظراً لعلاقاته الجيدة مع رموز الحركة اليوسفية المستقررين بالقاهرة، لإقناعهم بالعودة إلى أرض الوطن والمساهمة

في بناء الدولة الوطنية وتحقيق المصالحة الوطنية بتكتيل كل القوى الوطنية في عملية البناء التنموي. وقد تحول للقاهرة في مهمة للغرض ، ونسق العمل مع سفير تونس هناك المرحوم أحمد المستيري. وقد تحدث عن تلك المهمة السياسية بإطناط في الأحاديث الصحفية التي أذلي بها المؤلف المقال ونشرت في كتاب «حركة الإصلاح والتحديث في تونس : حوارات مع الشيخ يوسف» الصادر عام 2012 عن دار برق للنشر وتقديم الشاذلي القليبي وزير الثقافة والامين العام للجامعة العربية سابقا .

وفي نظر مؤرخي القضاء فان الشيخ بن يوسف يعتبر أحد أبرز قضاة تونس واكب مسيرة القضاء التونسي لأكثر من أربعين سنة. وقد دافع عن استقلالية القضاء ورفض المحاكمات السياسية خاصة للمتهمين من نقابي سوسة في أحداث الإضراب العام ليوم 26 جانفي 1978 . كما أثرى المكتبة الفقهية والقانونية بدراسات ومؤلفات دعمت مجلة الأحوال الشخصية . وكانت له اجتهادات في هذا المجال خاصة في علم المواريث والوصية إلى جانب اعتماد الحساب الفلكي في ضبط الأشهر القمرية، واندرجت كلها في سياق نظرة تجدیدية للفكر والتشريع الإسلامي .

وقد أصدر عام 1996 كتابا بعنوان «المواريث الشرعية والوصية ومجلة الأحوال الشخصية »، يعتبر إلى اليوم مرجعا أساسيا لرجال القانون في مجال أحكام الشريعة ومجلة الأحوال الشخصية المتعلقة بالمواريث والوصايا. وكتب في مقدمة كتابه يقول : «وقد رأيت تلبية للحاجة الملحة واستجابة لرغبة بعض الزملاء من المجلس الإسلامي الأعلى أن أسارع إلى وضع شرح للجزء المتعلق بالمواريث والوصايا من مجلة الأحوال الشخصية التي أصبح يستعطي على الكثير تحرير أحكامها والتفريق بين متشابهات صورها، خصوصا بعد تقييمها وإكمالها بنصوص مستمددة من مذاهب فقهية، هي على العموم غريبة على مدارسنا المغربية على أمل أن يجد القارئ ما يستعين به على فك مغلقاتها، وتوضيح عباراتها، متوجها بالإكثار من الأمثلة التي لا تخلو من التذكير بالقواعد الفقهية وأسلوب الحساب وطريقة العمل لبيان أصل الفريضة وتصحيحها وكيفية تحرير الشجرة لتأمين عدم الواقع في الخطأ وترسيخ ما يستوعبه أصحاب المهنة وال حاجة و مرiendo الأخذ والاستفادة، مستعرضا في البداية أهم مصادر التشريع الإسلامي التي تتفرع عنها الأحكام والجزئيات وبعض القواعد العامة .. والسعى متواصل للتوفيق على أساس الرجوع إلى الاجتهاد والأخذ بما يتلاءم والتطور الحضاري دون تجاوز أحكام الشريعة القارة».

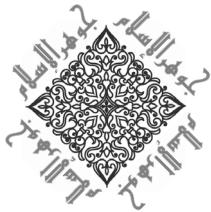
ويعتبر الشيخ يوسف في كتابه أن الدارس لمحتوى مجلة الأحوال الشخصية يلحظ أنها من حيث تقسيمها وتبنيها المنهجي تبدو كل فصولها الى 213 مستوى إما من التشريع الإسلامي أو بفضل اجتهادات فقهية منطلقة من هذا التشريع . ويستدل على

ذلك بالقول أن أحكام الزواج والطلاق والمهر والنفقة والحضانة والنسب والحجر والرشد، هي في إطار ما جاء في المنظومة الفقهية، رغم الاجتهادات الواردة فيها في إطار الفقه الإسلامي، بل إن أحكام العدة واللقيط والمفقود والوصية والهبة، وخاصة المواريث، هي أقرب ما تكون إلى الفقه الإسلامي منه إلى التشريعات العصرية.

وفي دراسة للقاضي محمد الحبيب الشريف، وهو أحد تلاميذ الشيخ يوسف في القضاء ، خصصها لمجلة الأحوال الشخصية والمواريث وإسهامات الشيخ يوسف فيها ، تحت عنوان «مجلة الأحوال الشخصية بين الأصالة والمعاصرة» (ص 40) صدرت سنة 2006 يقول: « بالرجوع الدقيق إلى مختلف أحكام المجلة والبحث في مرجعيتها الفقهية، نلاحظ فعلاً تأثيرها الجلي خاصية بالمذهبين المالكي والحنفي اللذين اقتصرت عليهما لائحة الشيخ جعيط مع بعض المذاهب الإسلامية الأخرى مثل المذهب الحنفيي (اقصى مدة الحمل) والمذهب الجعفري (الوصية الواجبة) والمذهب الظاهري (الرد في الميراث)».

ويعتبر الشيخ يوسف في كتابه الموسوعة الذي جاء في 530 صفحة من الحجم الكبير أن المشرع التونسي في بداية الاستقلال وجهود التخلص من الاستعمار، حاول الاستلهام من الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامي من خلال إصدار القوانين المنظمة للدولة التونسية الفتية ومحاولة الجمع في تلك العملية الحضارية بين أحكام الدين ومستجدات الحياة العصرية، مثلما حاول ذلك في مجالات الحياة السياسية والتنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتوفيق بين مقتضيات العصر الذي نعيش فيه والحفاظ على الهوية العربية الإسلامية التي حاول الاستعمار طمسها بكل الوسائل الظاهرة والخفية .

وفي كتابه الصادر عام 2020 بعنوان «ورقات من دفتر الحياة : مع اعلام اكودة»، قدم المربّي وأستاذ الآداب العربية البشير بن حليمة، وهو صديق وجليس الشيخ يوسف مسيرة هذا الأخير وجوانب من فكره النير وكتب يقول (ص.82) : «لقد تكون الشيخ يوسف في الزيتونة تكويناً تقليدياً متيناً خاصة في اللغة العربية إلى حد الإسهاب وفي العلوم الشرعية إلى حد التبحر. وهو شيخ علم وقضاء ونضال، عالمة نحیر ومرجع ثابت يعتمد عليه . وهو يتصف في كتابه ببرؤية واضحة متوثبة ومقدرة وتميز على التحليل والاستنتاج، هي نتيجة ذكاء وقد إلى جانب طاقة عجيبة على العمل والمداومة. وله مسيرة مهنية ثرية وتجربة متفردة قل أن تحصل لغيره وحياة نضالية كلها إسهام وتصحية من أجل استقلال تونس ومناعتها، وتواصل في العطاء لبناء الدولة العصرية وثبت قيم الجمهورية وتنوير عقول التونسيين وتجذيرهم في هويتهم وجعلهم يعيشون عصرهم بكل افتتاح دون انتبات أو انغلاق».



الجزائر تفقد احد كبار رجالاتها طبيب القلب ورئيس اتحاد الزوايا

الدكتور محمود شعلال

رحمه الله واسكنه فراديس جنانه

(2022/03/21 - 1949/04/16)

نعي الناعي صباح يوم الجمعة 14 رمضان 1443هـ / 15 ابريل 2022م المنعم الدكتور محمود شعلال طبيب القلب ورئيس اتحاد الزوايا رحمه الله واسكنه فراديس جنانه بعد عمر قضاه في خدمة العلمين طب القلب العضلة وطب القلب محل الايمان والتقوى.
 فهو الطبيب المختص في أمراض القلب وهو رئيس اتحاد الزوايا في الجزائر وعندما نقول الزاوية فإننا نعني أمر الروح التي هي من أمر ربها والتي بها يكون الإنسان(أقبل على النفس واستكمل فضائلها فانت بالروح ل بالجسم إنسان).

*وفي الغرب الإسلامي عموماً وفي الجزائر خصوصاً فان الزوايا هي التي حافظت على الإسلام والعربيـة. فعندما هدم الاستعمار الفرنسي المساجد وحولها إلى كنائس ومنع بناءها التجأ الشعب الجزائري إلى بناء الزوايا في كل أنحاء الجزائر وبين كل مكونات تركيبتها البشرية عرباً وبربرياً وأمازيغ وفي بلاد القبائل وفي الصحراء عشرات ان لم يقل مئات الزوايا شيدت لتكون ملاذ طلبة العلم لحفظ القرآن الكريم ومختلف علوم الشرع واللغة العربية.
تخرج من الزوايا الآف الحفاظ لكتاب الله ومئات العلماء الاعلام الذين لا يزال سندهم العلمي متصلـاً في الجزائر.

*ولا غرابة ان يؤسس الدكتور محمود شعلال رحمه الله طبيب القلب المنحدر من اسرة علم وصلاح وتربيـة وابن زاوية من زوايا الجزائر العريقة اتحاداً للزوايا وان يجعل منه هيكلـاً يرعى تلك الصرحـة التي يعرف الجميع في الجزائر فضلـها وما قامت به في سبيل الحفاظ على الهوية الوطنية الدينية للشعب الجزائري (الاشورية المالكية الجنيدية) سواء في المرحلة الاستعمـارية او في مرحلة ما بعد الاستقلال وبناء الدولة

* فمن الزوايا تخرج كبار رجالات الجزائر مدنيين وعسكريين وتخرج من الزوايا الحفاظ لكتاب الله والفقهاء العلماء الذين مثلما واجهوا التغريب والفرنسة والتنصير فقد واجهو التطرف والارهاب المدعوم خارجياً وأمكن للجزائر ان تتجاوز العشرية السوداء ولو بالتضحيه بالكثير من خيرة ابنائها من الائمة والحفظاء لكتاب الله الذين ذبحوا وعلقت رؤوسهم في الاعمدة الكهربائية واغصان الاشجار.

* وكان للدكتور محمود شعال رحمه الله دوره الكبير في الاحاطة والتاطير والتطوير للزوايا الجزائرية مع الحفاظ على الاصل وهو التزكية والتربية مصداقاً لقوله تعالى ﴿وَيُؤْزِّكُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمْ﴾ وقام في هذا الاطار بتنظيم ملتقيات وندوات علمية وتوجيهية وتصحيحية في مختلف مدن ومناطق الجزائر لم تلبث ان أصبحت ملتقيات دولية .

* وقد شرفني الفقيد رحمه الله بالمشاركة في عدة دورات منها في وهران ومستغانم ومعسكر وتسيمسلت وفي الجزائر العاصمة وظللنا على تواصل مستمر إلى ما قبل الكورونا بقليل .

* فقد رافقته في جولات في جهات الجزائر حيث وصل بنا الترحال إلى مسقط راسه حيث الأهل والزاوية التي فيها نشا وترعرع وحيث يحظى بالاحترام والتقدير في السوق.

* ورافقه في تونس في زيارة الزيتونة في معهد أصول الدين لما كان يديره الدكتور العروسي الميزوري وفي زيارة المقام الشاذلي (حيث التقى بفضيلة الشيخ حسن بن حسن رحمه الله وكان ذلك في أحد مواسم الزيارات الاربعة عشر الصيفية).

لقد كان الدكتور محمود شعال رحمه الله مثال الفضل والتواضع والرغبة الصادقة في المساهمة في خدمة دينه ووطنه في المجالين الطبي والعلمي والروحي الوجданى . وكان رحمه الله مثالاً للوفاء لاصدقائه يهتم بشؤونهم ويسعى لمساعدتهم بكل ما اوتي مما جلب له الود والحب من طرف الجميع .

* بفقد الدكتور محمود شعال رحمه الله فقدت الجزائر والحياة الروحية احد رموزها فقد ظل يعطي بتفان واخلاص إلى اخريات حياته غير مكتثر بالاتعاب والمشاق والعراقيل لقد كان حامل رسالة نبيلة كان مؤمناً شديداً الايمان بان جهاد اليوم في الحفاظ على الثواب والعمل على رقي الوطن وتقديمه وامنه وسلامته والتصدي لكل ما يستهدف وحدته ويزعزع استقراره الروحي لا يقل اهمية عن جهاد الامم من اجل تحرير الوطن من ربقة الاستعمار الفرنسي الغاشم فكل منهما جهاد في سبيل الله .

* ابلى فيهمما الدكتور محمود شعال رحمه الله البلاء الحسن إلى ان لاقي وجه ربه راضياً مرضياً يصدق فيه وعليه قوله جل من قائل ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَّقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهُ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبَدِّيلًا﴾ .

* فلالي جنات النعيم في مقعد صدق عند مليك مقتدر بجوار النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا افلتتها روحك الظاهرة أيها الاخ العزيز والصديق الوفي وإن الله وإن إليه راجعون. فأنت السابقون ونحن بكم لا حقول.

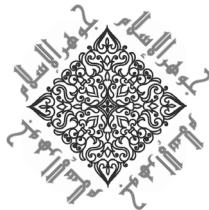
كتبه محمد صلاح الدين المستاوي

من عمار المهاجمي

إلى أعز رفيق / المرحوم الدكتور شعال محمود عمر

رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه، إنما لله وإن إليه راجعون،

| | | | | | | | | | | | | | | | | | |
|-------------------------------|-----------------------|---------------------------|--------------------------|---------------------------|-----------------------------|----------------------------|--------------------------|---------------------------|-------------------------------|----------------------------|----------------------------------|---------------------------------|--------------------------------|-------------------------------|------------------------------|----------------------------|-------------------------------|
| شعال صدفك في الصدر مكن | عهدي بك الوفاء والصبر | قلب صادق ولسان مبين | نسب أنت به لعمرك حامله | اجتمعت بك الزوايا اتحادا | حياتك فخر وموتك ذكر | شاد بك الوطن إخلاصاً | كم من طامع ظل يتغيي الود | حبست بذكائك كل فاتن | فلما رأيت أعداؤك النصر يقينا | ما خان عهدا من إخاء مودة | أكرم به علما فما فوقه فخر | ما رأيت الزوايا شيئا صوفيا مثله | أما والله ما انفك عن ذكرك أبدا | كم ملأنا بروح الفكاهة والهزل | في جلسات تستهويها الرغبة | لقد ذهبت عنا وما ذاك آوانه | ما كان المهاجمي لك إلا مناصرا |
| سون وأنت على العهد ثابت وتريد | صفاء فيه الخير تنشد | ويد ممدودة إحسان كرم وجود | سليل المجد والحسب التليد | وطنيا قادريا شاذليا واحدا | أنت بها حي خالد لم تمت أبدا | فكنت خير رسول يا عمر محمود | عند بابك يشكوا ما أجد | هماز بن ميم أعيyah الجيهد | قالوا هو ذاك عمر بثوابته يحشد | ولا ميثاق ما أطاقوا له سدا | ولابعدالله في الحسن والملاحة أحد | وقد زاده فضل الله غنى ومجدا | صادق الصفاء موثقا وعهودا | أوقاتا فيها الحلم والحكم يعقد | ويستهويها الفكر والمنطق يشيد | وهل يحضر بعده لليزايا عود | ولآل شعال حسب ممدود |



عرض لأطروحة دكتوراه في موضوع نظريّة الحاكِمية والسلطة السياسيّة للباحث طارق بن ساسي

أعد الباحث طارق بن ساسي بكلية الحقوق والعلوم السياسية المنار اطروحة بعنوان ”نظريّة الحاكِمية والسلطة السياسيّة“، لنيل درجة الدكتوراه ، وهى مسعي لإعادة النظر في تصور السلطة السياسيّة بحسب كتابات ابو الاعلى المودودي وسيد قطب الجامعة والناظمة لنظريّة الحاكِمية، ومحاولة للكشف عن سوء الفهم والغموض في أغلب تصوّرات الفكر الإسلامي المعاصر وأكثرها أهميّة وحساسية، ألا وهي نظريّة الحاكِمية، وما تولد عن تمظهراتها من الفوضي والعنف، نهيك عن عمق التأثير الذي تركته نظريّة الحاكِمية على الفكر الإسلامي المعاصر، حتى صارت كتابات منظر الحركة مرجعية إسلامية للعديد من الجماعات الإسلاميّة التي بنت العنف والتّكفيّر.

لقد تسامت نظريّة الحاكِمية بالسلطة السياسيّة بمحنها صفة متعالية، وعلى ضوء ذلك انتهت النظريّة الحاكِمية لاعتبار كل الأنظمة السياسيّة القائمة نظماً طاغوتية، فدشّنت -في ضوء ذلك- مرحلة من العنف وال الحرب على تلك النظم الطاغوتية، وزوّدت الإسلاميّين المنخرطين فيها بما يلزمهم من المفردات والألفاظ الدينية التي كان على رأسها مصطلح الجهاد، فجاء مفهوم الجهاد في أدبيات نظريّة الحاكِمية، ليُنصَّب معناه على استخدام السيف (القتال)، بخلاف المعنى المعروف للجهاد في السياق القرآني، والفكير الإسلامي التقليدي والتيار الإصلاحي . وبخلاف دعوة نظريّة الحاكِمية لموقف العداء ودعوة التقويض للسلطات السياسيّة القائمة، تقدّم الأطروحة، تصوّراً بدليلاً للعلاقة بين السلطة السياسيّة والدعوة الدينية، يبني على أسس ثلاثة، أولها واقعي: يكمن في طبيعة التحوّل في السلطة السياسيّة المعاصرة

وانفصالتها عن السردية الدينية، وثانيها وظيفي: وهو تمایز الفضاء الديني عن الفضاء السياسي، وثالثها تأصيلي: يدور حول المنظور الديني (القرآن الكريم والسنّة النبوية) للسلطة السياسية، ذلك التصور يشتمل على الدعوة إلى استيعاب السلطة السياسية القائمة وتجنب الدخول في صراع معها، على أساس الدعوة الدينية، بل إن المطلوب هو الفصل بين السلطة السياسية والدعوة الدينية، ورفض فكرة الدعوة إلى توظيف الدين من أجل غايات وأهداف سياسية، لوجود ميدان عمل مختلف لرجال الدين من جهة، ورجال السياسة من جهة ثانية (أرباب السيوف وأرباب الأقلام). وأن هذه القسمة بمقتضى واقع الحال وطبيعة ميدان العمل لكل طرف. ولكن ذلك لا يعني إقصاء الدين عن السلطة والدولة بل -على العكس- يظل للدين دوره الأساسي والمهم في الفضاءات السياسية يمارسه عبر نشر القيم الدينية وترسيخها. ومن جهة ثانية نبهت الأطروحة إلى خطورة ما قد ينجم عن توظيف للدين من أجل تحقيق مكاسب سياسية، وأكدت وجوب تحيد الدين وما ينطوي تحت عباءته من الولوج في ميدان الصراع السياسي، أو توظيف لأغراض سياسية.

ولقد ختمت الأطروحة بجملة من التنتائج أهمها:

- لقد قدمت نظرية الحاكمة العديد من الأفكار والتصورات التي أثرت في صياغة الفكر الإسلامي لدى الحركات الإسلامية العاملة في العقود الأخيرة ، تلك الأفكار والتصورات التي جاءت معايرة للتصور الرباني القرآني، أدت إلى ظهور رؤى منغلقة وتكفيرية خلقت فجوة بين المسلم والعالم الذي يعيش فيه، وصار الإيمان يستدعيأخذ موقف المعارض السياسي والرافض للأخر.
- من المفاهيم المركزية لنظرية الحاكمة في الفكر الإسلامي المعاصر، مفهوم «الطاغوت» الذي استعمله الإسلاميون بكثافة، وعلى اختلاف توجهاتهم الحزبية في ضوء دلالة سياسية تنصرف إلى الحكماء، مما قاد إلى إطلاق لفظ التكفير على كل من يدين لهم وي الخضع، باعتبارهم آلهة تعبد من دون الله. فصارت المجتمعات الإسلامية مجتمعات كافرة -على وجه الحقيقة- بعد الطاغوت، لكن هذا التصور يفتقر إلى المصداقية العقلية والشرعية، فالباحث الموضوعي للسيارات التي مررت بها السلطة السياسية تكشف التحول والفصل بين الحكماء الآلهة قديماً، ومن يتولون السلطة اليوم، وفق آليات معايرة بالكامل. كما أن دراسة النّص القرآني والسيرة النبوية وأثار الصحابة لا تتوافق على إطلاق لفظ الطاغوت على من يترأس السلطة لمجرد ظلمه أو تجاوزه الحد، أو مخالفته أحکام الشريعة.

- خالفت نظرية الحكمية جوهر الدين القائم على الاختيار الحرّ والرغبة في النماء الروحي. حينما جعلت هدف الرسائلات السّماوية هدفا سياسيا بحثا، مقدمة تصور النظام السياسي شمولي مغلق، يفرض الدين قانونا مصلتا على رقاب الناس.

• ضرورة التفريق بين القول بأن «الإسلام لا يفصل بين الدين والسياسة»، وبين توظيف الدين في مجال الصراع السياسي، فالسلطة السياسية في الإسلام ليست ثيوقراطية وليست دينية وإنما بشرية مدنية. وبعبارة أخرى إن الأديان - عموماً بشكل مباشر أو غير مباشر - تسهم في تشكيل الأيديولوجيا السياسية، وذلك في كل نظام سياسي لأيّ شعب أو أمة متدينة. ولكن تلك العلاقة بحاجة إلى تحديد المدى الذي يسهم فيه الدين في الفضاء السياسي.

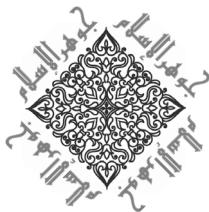
• يحمل الجهاد في الإسلام معنى واسعاً فهو بذل الجهد والطاقة في سبيل خدمة الدين ونصرته. وحقيقة الجهاد هي تبليغ رسالة الله للناس، وليس إعلان حرب مفتوحة على كل من يخالف في العقيدة أو المذهب، فالله تعالى لم يرسل الأنبياء والمرسلين لإجبار الناس على عقيدة التوحيد بل أرسلهم مبشرين ومنذرين.

• إن التجسيد العملي أو نماذج التمظهرات التي تعرضت لها الأطروحة على المستوى الحركي أو المؤسسي، لا تقدم تصديقاً عملياً، أو مؤاززاً للنظرية الحكمية.

• إن ميدان الفكر السياسي الإسلامي رغم كثرة الكتب والمصنفات ما زال في حاجة إلى الكثير من الجهد الفكري، من أجل فهم العصر والرد على التحديات المطروحة على الفكر الديني عموماً والإسلامي على وجه الخصوص.

• ولما كانت ظاهرة السلطة السياسية كباقي الظواهر الاجتماعية ظاهرة متغيرة فإنها تستوجب على الباحثين والمهتمين بالفكر الإسلامي مواكبة هذه الظاهرة وتقديم فهم وتصورات ملائمة لـما يطرح من تحديات، وما يبرز من مستجدات.

• في يوم الإثنين التاسع من شهر ماي 2022م، أجزيت الأطروحة بدرجة: «مشرف جداً»، مع ثناء خاص من اللجنة الممتحنة للباحث، واعتبار الأطروحة عملاً رائداً في موضوعها وطريقة تناولها، بكلية الحقوق والعلوم السياسية تونس، مما يفتح المجال للطلاب بالكلية لمزيد من الإثراء.



**البيان الختامي والتوصيات للمؤتمر الدولي الثاني للمجلس العالمي
للمجتمعات المسلمة**

«الوحدة الإسلامية: المفهوم والفرص والتحديات»

على مدى يومي الثامن والتاسع من شهر مايو 2022 التقى أكثر من 500 من القيادات السياسية والدينية والفكرية والاجتماعية للدول والمجتمعات المسلمة؛ يمثلون مختلف مناطق العالم في القارات الخمس، وذلك بمناسبة الذكرى الرابعة لتأسيس المجلس العالمي للمجتمعات المسلمة وعلى مدى أكثر من 30 جلسة حوارية، وكلمة رئيسية قدمها رؤساء دول، ووزراء، ومفتين، ورؤساء جامعات، وعمداء كليات، وأساتذة، وباحثون، تناولوا بعمق موضوعية وثراء موضوع «الوحدة الإسلامية: المفهوم، الفرص، التحديات». هذا الموضوع الذي يعتبر اهم قضية شغلت العقل المسلم منذ بدايات القرن العشرين. حيث بدأت كقضية فكرية مع حركات الاستقلال عن الاستعمار الغربي، وأثارت خيالات الكتاب والمثقفين والمفكريين..... ومع دخول العالم الإسلامي في مرحلة ما بعد الاستعمار، وما صاحبها من تغيرات جوهرية في مكوناته السياسية والاجتماعية والفكرية، ومع ظهور الأحزاب السياسية التي تتخذ من الإسلام ايديولوجية للوصول إلى السلطة، لم يعد مفهوم الوحدة الإسلامية بذلك الوضوح والجلاء؛ الذي كان عند السابقين، وهو أنها وحدة معنوية، روحية، دينية تجمع بين الأفراد والمجتمعات، ولا تحول دون انتمائهم لدول وأوطان مختلفة متنوعة متعددة. حيث يكون المقصد والغاية هو التعاون والتبادل لتحقيق مصالح الإنسان المسلم والارتقاء بمعيشه.

لقد صنعت الوحدة الإسلامية بهذا المعنى الأصيل حضارة رائدة ساهمت في دفع ركب الإنسانية خطوات كبيرة إلى الأمام. صنعت انساقاً ثقافية متنوعة ومتعددة؛

ولكنها تنتظم في سياق حضارة كبيرة واحدة تحدد معالمها إسهامات عظيمة قدمتها للبشرية في العلوم والفنون والأداب والفلسفة والعمارة والفلك والرياضيات والطب والموسيقى... الخ. هذه الوحدة الحضارية التي امتدت لقرون عدة من الزمان، وكانت تمتد بصورة دائمة لتحتضن شعوباً وثقافات، وتتبني علومها وفنونها، فكانت أمة التعددية واستيعاب الآخر، والحوار المستمر مع المخالف لها دينياً الذي يتوج دائماً بالتبادل الثقافيأخذًا وعطاءً، وبالاندماج والتبني والاستيعاب للثقافات، والمجتمعات، والتقاليد، والأعراف.

انطلاقاً من هذه الحقائق التاريخية البعيدة والقريبة، وسعياً نحو تحقيق التأصيل التاريخي العميق، والواسع والمشعب لحقيقة الوحدة الإسلامية التاريخية، وتجلياتها في مختلف مجالات الحياة، ودورها في بناء حضارة إنسانية كانت هي أساس الحضارة العالمية الحديثة ورافدها الأصيل بكل العلوم والفنون ... ناقش المؤتمر أكثر من 110 ورقة بحثية من أجل الوصول إلى جوهر حقيقة الوحدة الإسلامية في صورتها التاريخية البناءة، وفي صورها المستقبلية التي سوف تنهض بالمجتمعات المسلمة، وتسهم في تنميتها وتطويرها والقضاء على الفقر فيها، والنهوض بالتعليم والبحث العلمي، وكذلك تواجه التحديات التي تعاني منها مجتمعات المسلمين سواء التطرف والعنف، أو التعصب والتحزب والطائفية.

وقد خلص المؤتمر إلى التأكيد على مجموعة من التوصيات:

أولاً: أكد الحضور على توجيهه الشكر والتقدير والعرفان لدولة الإمارات وقيادتها الملهمة التي تشغل دائماً بالتفكير في المستقبل، وتحرص على دعم المجتمعات المسلمة، وتأمين مستقبلها، وتحقيق استقرارها، وازدهارها في دولها، وتعمل بصورة لا تعرف الكلل أو الملل على إحياء وترسيخ القيم الإسلامية الأصيلة التي تحقق السلام والأمن والاستقرار للمجتمعات، وترسخ قيم التسامح والتعايش والتعاون بين بني البشر.

ثانياً: التأكيد على أن الوحدة الإسلامية كانت حقيقة تاريخية حضارية؛ شملت مختلف مجالات الحياة الاقتصادية والفكرية والاجتماعية والثقافية والعلمية، كما كانت تلك الحقيقة ماثلة في العمارة والفنون والأداب، ولكنها لم تكن حقيقة سياسية إدارية... وقد أدى الخلط بين الحضاري والسياسي إلى التشتت والارتباك والصراع حول مفهوم الوحدة الإسلامية في العصر الحديث. فقد حولت الجماعات

والحركات التي نشأت في العقود الأخيرة مفهوم الوحدة الإسلامية إلى مشروع سياسي يطمح في بناء مجده شخصي، أو حزبي.

ثالثاً: التأكيد على خصوصية كل مجتمع من المجتمعات المسلمة، وأن التحديات التي تواجهها تتعدد بتنوع دولها ومناطقها، وتتعدد كذلك بتعدد مستويات التنمية وتحدياتها التي تعيشها دولها، ولذلك يؤكد المؤتمر على ضرورة احترام تلك الخصوصيات والعمل دائماً ضمن الأطر الدستورية، والقانونية للدولة الوطنية، بما يحافظ على استقرارها وأمنها، وفي نفس الوقت يحقق الاستفادة المتبادلة بين الدول والمجتمعات التي يعيش فيها المسلمون.

رابعاً: التأكيد على ضرورة تضمين مناهج التعليم العام، والديناني المعاني الحقيقة للوحدة الإسلامية بما يفتح الآفاق أمام الأجيال القادمة للانشغال بكل ما يفيد المسلمين، ويحقق النهوض بمجتمعاتهم، ويواجه التحديات التي تناول من تقدمهم وازدهارهم، ويرتقي بمستويات معيشتهم، ويضعهم في مكانة «خير أمة أخرجت للناس».

خامساً: التأكيد على ضرورة إصلاح، وتطوير الخطاب الديني في جميع المجتمعات المسلمة؛ بما يتناسب مع احتياجات كل مجتمع، ومتطلباته، بحيث يكون الخطاب الديني سواء في المساجد، أو حلقات التعليم، والتثقيف مناسباً للمستوى الثقافي للمجتمع الذي يتعامل معه، وقدراً على الإجابة على الأسئلة والإشكاليات والمفاهيم التي تشكل الوعي الجمعي للمسلمين.

سادساً: التأكيد على أهمية توظيف الإعلام بكل أنواعه، الجديد والتقليدي لإعادة تشكيل الوعي الجمعي للمسلمين في مختلف المجتمعات؛ وبمختلف اللغات، ليكونوا على فهم وإدراك حقيقيين للقضايا الكبرى التي ينبغي أن تشكل العقل المسلم في القرن الحادي والعشرين، بما يحقق مصالح تلك المجتمعات وطموحات وأحلام أفرادها في العيش الآمن السعيد.

وفي الختام يتوجه المشاركون بالشكر لمعالي الشيخ نهيان بن مبارك آل نهيان وزير السامح والتعايش بدولة الإمارات العربية المتحدة على تشريفه للمؤتمر بالرعاية الكريمة، وعلى كلمته العميقه الصافية الوا فيه، التي قدمت رؤية وتأطيراً للمؤتمر وحواراته، وفتحت الآفاق أمام مداخلاته لتنطلق في فضاءات أكثر رحابة واستنارة.



من سجایا ومحامد فضیلۃ الشیخ حسن الورگی رحمہ اللہ ومدرستہ (المعلم والمرمن)

کتب محمد صلاح الدین المستاوی

خواطر من وحی احتفالية العشیری الاولی لوفاته (تونس السبت 4 جوان 2022)

*فضیلۃ الشیخ حسن الورگی رحمہ اللہ ولی بدون زاویۃ بدون قبة وزردة.

*فضیلۃ الشیخ حسن الورگی مثال للورع ونظافة الید (یقول نحب المحسن
یداوي الجرح بنفسه ویطمئن علی ما انفق انه صرف في بابه).

*فضیلۃ الشیخ حسن الورگی مدرسة في التواضع مع کل الفئات (صغاراً وكباراً).

*فضیلۃ الشیخ حسن الورگی مثال لعزۃ النفس یغضب لله ولا یخاف في الله لومة
لام.

*فضیلۃ الشیخ حسن الورگی ینزل الناس منا زلهم یعرف من این تؤکل الكتف
وسياسي محنك دون ان یمارس السياسة.

*فضیلۃ الشیخ حسن الورگی مثال في اخلاص العمل لوجه الله لا یبتغي من وراء
عمله جزاء ولا شکوراً.

*فضیلۃ الشیخ حسن الورگی حب الوطن (تونس) عنده صنو للايمان وهو بذلك
مثال لشیوخ الزيتونة شعارهم ومنهج عملهم (عقد الاشعري وفقه مالك و طریقة
الجند السالک).

*مئات الكتاتیب وعشرات الالمءات ومدرسة عمر بن الخطاب لتعليم القرآن
وترتیله (ام الجامعات الزيتونة في زمان قلص فيه دور الزيتونة) و ذلك هو ما كنت
ارفع به معنیاته واسلیه به عندما كنت اتیه الى مدرسة عمر بن الخطاب في صیاحات
ایام الاحد واجده بین التلامیذ والشیوخ المعلمين وهو بین هم لا یفصح عنه وفرحة

لا يمكن وصفها بما وفقه الله اليه واعانه عليه . (في سنوات التسعينات وما ادرك .
والفاهم يفهم كما يقال)

* ومن تخرج من مدرسة عمر بن الخطاب من مئات الطلبة من تونس ومن البلدان
الافريقية وهماليوم شيوخ وائمة واساتذة اعدادهم بالمئات خير شاهد على ما اقول
هم سفراء لتونس في بلدانهم

انهم اثر للشيخ حسن رحمة الله وعمله فيما ينفع العباد والبلاد مما يمكث في
الارض . (وتلك اثارنا تدل علينا فاسالوا بعدها عن الاثار) . (وانما المرء حديث بعده).

*الشيخ حسن الورги رحمة الله لم يؤلف كتابا وانما خرج علماء وحفظا
لكتاب الله هم قرآن يمشي على الارض وليسوا اسفارا في الرفوف تزين بها البيوت
والمكاتب.

*ذاك هو فضيلة الشيخ حسن الورغي رحمة الله وتلك بعض سجايته ومحامده.

*كان فضيلة الشيخ حسن الورги رحمة الله امة براسه (ان ابراهيم كان امة) .

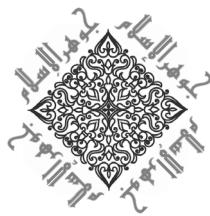
* وتلك شهادة في الرجل الذي عرفته منذ نعومة اظفاري ملازم لفضيلة الشيخ
الوالد الحبيب المستاوي واحشوته من شيوخ الزيتونة الابرار عليهم من الله الرحمة
والرضوان يصحبهم بادب رفيع نود ان يتخلذ في ذلك اسوة وقدوة تلاميذه .

*عرفت الشيخ حسن رحمة الله في ميدان العمل الديني القراني و كنت الى جانبه
صحبة رجال ببررة من جنود الخفاء في موقع متقدمة في المسؤولية ازروا الشيخ
حسن ووقفوا بجانبه منهم من قضى نحبه ومنهم من يتظر وما بدلوها تبديلا . ويضيق
المجال لذكر اسمائهم وصفاتهم كتب الله صنيعهم الحالص لوجه الله في صحائف
حسناتهم .

* تلك بعض الخواطر بعضها تضمنتها كلمتي في احتفالية الشيخ حسن وهو قليل
من كثير مما احفظه للرجل رحمة الله واجزل مثوبته.

*الشيخ حسن والذين معه من الشيوخ ومن التلاميذ ومن ذوي البر والاحسان و
بعض من كانوا يتحملون المسؤولية في سنوات التسعينات وقبل كل هؤلاء اسرة
الورги اباء وامهات وابناء وبنات اليهم جميعا ادلي بهذه الشهادة التي حرام علي
ان اكتملها لما في الادلاء بها من شحذ لهم وتحفيز للطاقات المخالصة كي تواصل
السير في هذا الدرب . درب العمل الصالح الحالص لوجه الله وهو سبحانه وتعالى
لا يقبل الا ما هو الحالص لوجهه الكريم .

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرِي اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ صدق الله العظيم .



يُسألونك قل

من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين

بِقَلْمِ الشَّيْخِ الْحَبِيبِ النَّفْطِيِّ - رَحْمَةُ اللَّهِ

كيفية الصلاة على بنك أو سرير للعاجز؟

السؤال: يقول السائل الكريم هـ. غـ: هل تجوز الصلاة فوق بنك أو سرير لمن كان عاجزاً عن الجلوس فوق الأرض؟

الجواب: أعلم أيها السائل الكريم أن الصلاة فوق بنك أو سرير أو غيرهما لمن كان عاجزاً عن الجلوس فوق الأرض جائزة وصحيحة بشرط أن يومئ للركوع والسجود ويكون الإيماء للسجود اخفض (او طأ) من الإيماء للركوع ولا يجوز له ان يسجد على مخددة أو غيرها بل يجب عليه أن يكتفي بالإيماء بالسجود من غير ان يسجد على شيء ما.

جواز إماماة من به عرج أو قطع يد أو رجل؟

السؤال: هل تصح إماماة من كانت له ساق صناعية مع العلم انه قادر على اداء أركان الصلاة من قيام وركوع وجلوس؟

الجواب: الأولى للإمام الذي به عرج أو شلل أو قطع اليد أو الرجل ان لا يصل إلى الناس إماماً لكن ان كان قادراً على القيام بكل أركان الصلاة من قيام وركوع وسجود وجلوس وكان هذا الإمام الذي ذكرته في سؤالك إماماً راتباً قد نصبه إماماً من ترجع له تسمية الأئمة فمامنته صحيحة في مذهبنا المالكي

جواز قراءة القرآن من غير وضوء من غير المصحف؟

السؤال: هل قراءة القرآن الكريم بدون وضوء اصغر جائزة أم لا لمن هو قادر على الوضوء؟

الجواب: اعلم أيها السائل الكريم ان قراءة القرآن الكريم بغير وضوء اصغر جائزة إذا كانت القراءة عن ظهر قلب أي من حفظ الإنسان أما قراءة القرآن الكريم من المصحف الشريف على غير وضوء اصغر فإنها لا تجوز لقوله تعالى ﴿إِنَّهُ لِقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمْسُهُ إِلَّا مُطَهَّرُونَ﴾ الآيات 77 - 79 من سورة الواقعة ولقوله ﷺ في الكتاب الذي كتبه لعمرو ابن حزم إلا يمس القرآن إلا طاهرا رواه الإمام مالك في كتاب الموطأ ج 1 ص 199.

الجنة التي أعدت للمتقين هي للMuslimين ولمن كان من اليهود والنصارى (من لم يبدلوا ولم يغيروا) وذلك قبلبعثة

السؤال: أرجو توضيح قوله تعالى ﴿وَجَنَّةٌ عَرَضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الآية 133 من سورة آل عمران وهل أن اليهود والنصارى داخلون في الوعد الذي تضمنته الآية الكريمة أم لا؟

الجواب: اعلم أيها السائل الكريم ان وعد الله في الآية 123 من سورة آل عمران بإدخال المتقين جنة عرضها السماوات والأرض أعدت لهم هي خاصة بأمة محمد ﷺ أما اليهود والنصارى فلا يشملهم هذا الوعد اللهم إلا من مات من اليهود والنصارى قبل بعثة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ولم يغيروا وبدلوا ما انزل إليهم من التوراة والإنجيل وكانوا من المتقين والله أعلم

أرواح العباد بعد موتهم في البرزخ

السؤال: إذا مات الإنسان وانتقلت روحه إلى عالم الأرواح فهل تتنعم روحه وتشعر وتحس أم لا؟

الجواب: إذا مات الإنسان انتقلت روحه إلى عالم الأرواح أما في عليين أو في سجين فعليون مقام أرواح السعداء من عباد الله تعالى وسجين مقام أرواح الأشقياء من عباد الله تعالى وذلك بنص القرآن الكريم حيث قال تعالى ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلْيَيْنَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلْيُونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَسْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ

على الأَرَائِكَ^(١) يَنْظُرُونَ الآيات 18-23 من سورة المطففين وقال جل ذكره في بيان مقام الاشقياء ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجْنٍ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجْنٌ﴾ الآياتان 7-8 من سورة المطففين أيضاً عليه أيها السائل الكريم فان أرواح الأموات قبل يوم القيمة هي فيما يسمى بالبرزخ وهو المدة الفاصلة بين موت الإنسان ويوم القيمة تكون فيها روح الميت اما منعمة نعمتها معنوياً أو معدبة عذاباً معنوياً قال تعالى في حق فرعون وأله ﴿النَّارُ يُعَرِّضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَأَعْشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَذْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ الآية 46 من سورة غافر

معنى آية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنِ يَشَاءُ﴾

السؤال: ما هو تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنِ يَشَاءُ﴾ الآية 48 من سورة النساء

الجواب: اعلم أيها السائل الكريم ان الله تعالى قد اعلم عباده بأنه لا يغفر ذنب الشرك به سواء كان في ألوهيته (عبادته) أو في ربوبيته بأن يعتقد الإنسان ان مع الله شريكاً ينفع ويضر ويمتنع فالله هو المعبد بحق مستحق لأن يعبد دون سواه والله هو النافع الضار دون غيره فمن عبد مع الله غيره أو اعتقاد أن هناك من ينفع أو يضر معه مشرك وهذا الشرك لا يغفر الله أبداً وما دون ذلك من الذنوب والمعاصي فالله سبحانه حليم كريم يغفر لمن يشاء تفضلاً منه وأحساناً هذا هو معنى الآية الكريمة التي ذكرتها في سؤالك أيها السائل الكريم والله اعلم

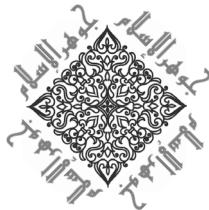
حسن الخاتمة لا يعلمه إلا الله

السؤال: هل أن العمل الصالح قبل الموت دليل على حسن الخاتمة؟ أرجو منك فضيلة الشيخ افادتنا ودمتم في رعاية الله وحفظه

هـ - غـ - (تونس)

الجواب: اعلم أيها السائل الكريم ان حسن الخاتمة بيقين لا يعلمه الا الله الذي بيده ملکوت كل شيء فلا العمل الصالح قبل الموت يدل عليه ولا غيره من العمل السيء ولكن ورد حديث نبوى يستأنس به في هذه المسالة قال ﷺ (إذا أراد الله بعده خيراً استعمله قبل موته قالوا وكيف يستعمله؟ قال يوقفه لعمل صالح قبل موته ثم يقبضه عليه) أخرجه الإمام احمد والطبراني والله الموفق.

(١) الأسرة



جريدة الجمعة... الجريدة التي لم تصدر ...

بعلم صالح الحاجة

من امنياتي التي كثيرة ماداعت خيالي... وحلمت بها طويلاً وكثيراً امنية اصدار جريدة اسبوعية تظهر كل يوم الجمعة وتتابع بسعر زهيد امام الجامع والمساجد... وكم تخيلت المصلي الذي يصلى الجمعة يدخل ليصلي وعندما يفرغ من صلاته ومناجاة ربه يشتري الجريدة ويعود بها إلى بيته ليسعد بقراءتها والاستماع بمحتواها فانا اعتبر القراءة متعة مابعدها متعة وكل كتابة لا تتحقق هذه الغاية النبيلة لا خير فيها... وبيما ان الجمعة عندي ترقى إلى مستوى العيد الاسبوعي فان هذه الجريدة الحلم تعمق لدى المصلي الشعور بالعيد... وتهيء له طقوس الاحتفال به... ولكنني في نهاية المطاف تعبت بهذا الحلم الجميل فتخيلت عنه مثلما تخيلت عن اشياء كثيرة او لعلها هي التي تخللت عني بحكم السن فما ان تحل الشيخوخة حتى يرحل كل ما كنا نعيش به وعليه وننحن في ربيع العمر... كنت احلم بجريدة جمعية متقدمة في الشكل... باذخنة في المعنى والمحتوى والرسالة... محدودة الصفحات متعددة الابواب... مكتوبة باسلوب تحريري جديد غير ثقيل... وغير معقد... جميل... سريع الاقرائ... وكانت اخططت لكي تكون الجريدة وكأنها قطعة من الشوكولاتة... لذيدة... خفيفة... سهلة القضم و سريعة الهضم... لا ترك في الفم الا حلاوة العسل... وتزيل كل مراارة... وكانت ساضع لها هذاشعار: «اقرأ الجمعة لتجمع بين الامتناع والمؤانسة»... والله لقد عشت حياتي بين حبيبات كثيرات وكانت جريدة الجمعة احدى هذه الحبيبات... كنت احملها معي في فكري وقلبي وخيلي... وكانت اتخيل صفحاتها او ارافقها واداعبها وكأنني اداعب اوراق اشجار الليمون والرند والياسمين... وكم افتقدتها اليوم وانا اجر ايامي الثقيلة... افتقدتها فا فقد صلتي بالحياة واضيع في صحراء قاحلة لا ماء... ولا عشب... ولا حب فيها ...

ou quête diffuse d'une *Baraka* que ce haut lieu est censé détenir.

Une double façon d'exprimer l'attachement à des coutumes que les ancêtres ont instituée.

Une démonstration de la spécifité d'un Islam qu'en Tunisie on a voulu diversifié dans son expression spirituelle mais dont les obligations scripturaires sont strictement observées.

Une manifestation affective qui s'identifie à une authenticité et une action que l'élite va chercher la raison dans la pure spiritualité. Une véritable symbiose entre la spéulation savante et l'hagiologie populaire.

Parallèlement à cette notion qu'a le tunisien du spirituel, il faut, à notre avis mettre en exergue la fonction du *Chadhilisme* dans le contexte de notre pays. Cet ordre ésotérique, aujourd'hui universel c'est Tunis qui l'a vu naître au début de VIIe siècle de l'Hegire et c'est Tunis qui a fourni à son fondateur son patronyme de *Chadhili*, dérivé de l'appellation d'une bourgade de sa périphérie.

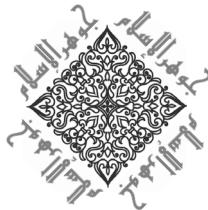
Tunis qui se distingue par le Maqam, cette imposante bâtie qui tel un vigile protecteur, domine une immensité de sépultures, mais ne contient ni tombeau de l'éponyme ni reliques ostentatoires.

Un haut lieu qui, avant d'être reconstruit par Mustapha Khaznadjar au XVIII^{ème} siècle a, sous diverses formes traversé les âges depuis la haute antiquité et soumis à la garde du Prophète Idriss, élevé au quatrième ciel. Réalité qui ne peut être expliquée et qu'à défaut de pouvoir le faire rationnellement, les initiés laissent à la métaphysique, tous ses droits pour les justifier. Mais là est une autre histoire que seuls les *arifines billah* détiennent le secret. Ces connaissants par Dieu n'affirment-ils pas d'autre part que si Tunis, à travers l'histoire, a toujours vu la gravité de l'épreuve qu'elle devait subir, notamment atténuée, c'est grâce au privilège qu'à ce Maqam d'être placé sous le nom divin d'*El Latif*.

Un Maqam qui recevra dès ce jeudi une multitude où chacun a ses propres raisons d'y aller.

Du simple visiteur soucieux de perpétuer une coutume à l'initié plus concerné par ce que définissait Ibn Attallah, deuxième successeur d'Aboulhassen, comme une voie de plénitude et de conduite suprême vers Dieu.

Aujourd'hui où plus que jamais le temps est plein d'incertitude, où l'Islam qu'ont connu les tunisiens depuis si longtemps est menacé d'agression venue de l'extérieur, alors que d'autres, pour exprimer leur foi croient devoir adopter la fureur dans le verbe, l'excentricité dans l'habillement et dans le geste la violence, nombreux sont dans notre pays, ceux qui abreuvés à la source de la spiritualité, ont choisi de vivre leur foi selon ce que leur ont légué leurs ancêtres : la modération dans le verbe et dans le comportement, l'humilité.



De la spéculation savante à l'hagiologie Ce qui distingue la Tunisie dans l'Islam Spirituel

Par Mustapha ZOUBEIDI

C'est ce jeudi, dernier du mois de mai que, selon une tradition trois fois centenaire, vont débuter ce qu'on appelle communément « les semaines de Sidi Belhassen ». Il s'agit d'une série de quatorze visites au sanctuaire situé au sommet de la colline du Jellaz, étalés sur les quatorze semaines que comporte l'été.

Une manifestation sous des dehors festifs et bon enfant qu'une frange des habitants de la capitale tient à y participer comme elle l'a vu faire aux générations qui l'ont précédée.

Mais la vraie raison de ces visites estivales sont moins profanes en réalité, car une bonne partie de ceux qui escaladent la colline et qu'on appelle les initiés, le font pour rencontrer l'*Esprit Mohamedien* qu'ils sont persuadés de pouvoir rencontrer.

Car instruits par l'hagiographie, ils savent que, lors d'une de ses retraites dans ce lieu, il y a huit siècles, Aboulhassen a vu en rêve le Prophète lui promettre qu'il le visitera une fois par an, jusqu'à la fin des temps, en été, la veille d'un vendredi.

C'est pour cette raison qu'une fois la nuit tombée, les initiés accomplissent un rituel qu'ils ne cessent de faire à l'aube de chaque samedi durant toute l'année dans une salle de prière en contre-bas du Maqam, érigée au dessus d'une grotte au profil hautement symbolique. Rituel immuable fait de lecture collective du Livre Saint, d'oraisons (Ahzab) à la gloire de l'Unique et d'une séance de Dhikr où seul le nom de Majesté remplit le silence de la nuit.

Ainsi liesse populaire et recueillement se juxtaposent par tradition familiale

proche de Tlemcen, et on l'enterra là. »⁽¹⁰⁾ Son mausolée continue jusqu'à nos jours de faire l'objet de nombreuses visites pieuses.

A une époque qui précède la formation des confréries (*turuq*, litt. « voies », « méthodes »), la voie spirituelle d'Abû Madyan ne se distingue pas des autres voies orthodoxes du soufisme, dans la mesure où toutes représentent des méthodes diverses qui tendent vers le même but, car la Vérité est unique. On remarque néanmoins que la méthode d'Abû Madyan, empreinte de sobriété et de simplicité, rappelle les traits essentiels du modèle de sainteté propre au sceau des prophètes, Muhammad. Les maîtres shâdhilîs voient en particulier dans la figure d'Abû Madyan un héritier de la fonction prophétique d'interprétation et d'actualisation de la révélation. L'homme que Dieu élit à une telle responsabilité est, par nature, « esprit fait chair » : ses paroles et sa personne représentent en soi l'essence même du message ; il n'est donc pas tenu d'argumer ou de laisser un écrit, ce qui est en accord même avec le caractère « illétré » (*ummî*) du Prophète. « Autre conséquence, son langage doit être le plus universel possible, afin que toute la communauté des croyants puisse bénéficier de son intervention et de sa présence. Le saint héritier de la prophétie présente son enseignement sous une forme extérieure qui est extrêmement simple mais recouvre une ample gamme de possibilités, ce qui lui permet de s'adapter au besoin spirituel de chacun. C'est cette fonction prophétique qui explique les événements politiques qui marquent souvent la vie publique de ce type de saint. »⁽¹¹⁾

(Suite prochain numéro)

(10) *Sagesse céleste*, pp. 33-34.

(11) Cheikh al- 'Alâwî, *Sagesse céleste. Traité de soufisme*, traduit en français par M. Chabry et J. Gonzales, éditions La caravane, Cugnaux, 2007, pp. 18-19.

se réunissaient devant sa porte et voulaient qu'il leur parle. Ils l'obligèrent à sortir, et lorsqu'il le fit, quelque oiseaux qui se trouvaient sur sa terrasse s'envolèrent. Il rentra alors chez lui en disant : «Si j'étais fait pour parler aux gens, les oiseaux ne se seraient pas enfuis.» Puis il resta chez lui encore un an, et lorsqu'il sortit, les oiseaux restèrent sur la terrasse. Il commença donc à s'entretenir avec les gens. On raconte que lorsque les gens se réunissaient chez lui, les oiseaux voltigeaient au-dessus, et certains d'entre eux tombaient même parfois foudroyés par la mort. »⁽⁸⁾

Le shaykh al-'Alâwî dit que la voie de Sidi Abû Madyan était assise sur des bases solides, car il suivait la Loi révélée et enjoignait à ses disciples de la suivre. Nombreux sont ceux qui reçurent les faveurs divines par son entremises. Il a formé près de trois cents connaissants ('ârifûn billâh), sans compter les hommes vertueux. « Des visiteurs et des gens ayant toutes sortes de requêtes à lui soumettre venaient sans cesse ; il comprenait les choses par inspiration et bénéficiait de dévoilements. Lorsque la nouvelle s'en répandit et qu'il devint connu, certains oulémas (docteurs de la Loi) complotèrent contre lui en le calomniant auprès du sultan Ya'qûb al-Mansûr, affirmant à ce dernier que son règne courait un grand danger parce que Sidi Abû Madyan ressemblait au Mahdi⁽⁹⁾, et qu'il avait de nombreux disciples dans la plupart des régions du pays. Celui-ci prit peur et cette affaire commença à le préoccuper. Il l'envoya chercher afin de le mettre à l'épreuve, écrivant à ses représentants à Bougie de très bien le traiter et de le faire voyager dans les meilleures conditions possibles.

Lorsque le maître se fut résolu à entreprendre ce voyage, la chose déplut à ses compagnons qui, mécontents, tentèrent de l'en dissuader. Le maître les fit taire et dit : «Mon souhait va bientôt se réaliser, et la tombe en ce lieu m'est déjà prédestinée ; je ne peux y échapper. Mais je suis vieux et faible, et ne peux donc me déplacer. Voilà pourquoi Dieu a envoyé quelqu'un pour m'y emmener avec bienveillance et m'y conduire le plus agréablement possible ; je ne verrai pas plus le sultan qu'il ne me verra.» Ses disciples, tranquillisés, virent qu'il s'agissait d'un nouveau prodige. Ils partirent donc et voyagèrent en toute sérénité, puis ils arrivèrent aux environs de Tlemcen. » Ils firent halte aux alentours de la ville. « Le soir venu, il se tourna vers La Mecque, fit le témoignage de foi et dit : «Me voilà ! Je suis venu *en me dépêchant pour Te faire plaisir, ô Seigneur* (Coran XX, 24).» Puis il ajouta : «Dieu est la réalité !» et rendit l'âme. On emmena alors son corps à al-'Ubbâd, qui est un petit village

(8) *Sagesse céleste*, pp. 32-35.

(9) Selon la doctrine islamique, la figure du Mahdi, « imam bien-guidé » descendant de la famille du Prophète Muhammad, doit se manifester à la fin des temps comme un guide spirituel et temporel préparant le retour de Jésus comme « signe de l'Heure », « juge équitable » et « sceau des saints ».

de sagesse de l'intercesseur divin », qui constitue en soi un manuel de réflexion et d'enseignement sur la science du soufisme contemporain.⁽⁶⁾ Dans son préambule sur la biographie d'Abû Madyan, le shaykh al-Alâwî évoque certains aspects de sa vie et les grâces qu'il reçut. Sans tomber dans l'idéalisme hagiographique ni dans l'analyse rationnelle de sa fonction, certaines épreuves que le shaykh Abû Madyan traversa rappellent quelques épisodes symboliques de la vie des prophètes, mettant en évidence le processus nécessaire de maturation intellectuelle et de purification de l'âme, grâce à une alchimie spirituelle qui opère pour préparer le réceptacle humain à recevoir les lumières de la grâce divine. Alors qu'il était un jeune berger, ne sachant ni lire le Coran ni accomplir la prière rituelle, Abû Madyan sut trouver en lui la force et la détermination nécessaires pour fuir sa condition d'ignorance, et effectuer les premiers pas sur la voie de la Vérité et de la Connaissance. Sur les conseils d'un ascète qu'il croisa dans cette fuite vers Dieu, et qui lui apprit « qu'il n'y a pas d'adoration de Dieu sans connaissance », Abû Madyan quitta la région de Séville, en Andalousie, son lieu de naissance, jusqu'à parvenir finalement à Fez, au Maroc. Il y fréquenta pendant plusieurs années les cercles des savants, acquérant progressivement la science extérieure, celle de la Loi sacrée, et la science de la purification intérieure, celle de la Voie spirituelle. Il put ainsi approfondir la connaissance de la doctrine et des réalités spirituelles, grâce à la bénédiction et aux enseignements des maîtres qui le guidèrent, en particulier le shaykh Abû l-Hasan Ibn Ghâlib, et le célèbre saint d'origine berbère Abû Ya'zâ al-Maghribî. Avec la permission de ce dernier, Abû Madyan partit ensuite vers l'Orient dans l'intention d'accomplir le pèlerinage à la Maison de Dieu à La Mecque. Là-bas, il profita de l'enseignement de savants renommés, et apprit beaucoup grâce aux ascètes et aux hommes vertueux de l'Orient. « C'est à 'Arafat qu'il rencontra le shaykh 'Abd al-Qâdir al-Jilânî qu'il fréquenta alors, apprenant grâce à lui de nombreux hadiths, dans l'enceinte même du sanctuaire de La Mecque. Le shaykh 'Abd al-Qâdir lui transmit la *khirqa*⁽⁷⁾ du soufisme, lui confia ses secrets et le revêtit de lumières. Lorsqu'il revint du pèlerinage et de ses pérégrinations, le seul endroit où il put rester fut Béjaïa, Bougie, dans l'actuelle Algérie, et c'est donc là qu'il s'installa. Il disait que cette ville était un bon endroit pour vivre conformément aux exigences de la Loi. (...) Au début, il ne se montrait pas aux gens et ne se préoccupait pas de les éduquer spirituellement, jusqu'au jour où Dieu lui ordonna de le faire. On raconte qu'il resta une année entière chez lui sans voir personne, ne sortant que pour assister à la prière du vendredi. Les gens

(6) Cheikh al- 'Alawî, *Sagesse céleste. Traité de soufisme*, traduit en français par M. Chabry et J. Gonzales, éditions La caravane, Cugnaux, 2007.

(7) Extérieurement, il s'agit le plus souvent d'un manteau qui représente la transmission de maître à disciple d'un état spirituel. Cette pratique se base sur un précédent prophétique.

pas couronnée par la grâce. « Nous élevons le rang de qui Nous voulons »⁽²⁾, dit Dieu dans le Coran. Le mystère de la voie spirituelle du soufisme, de la réponse à l'appel de Dieu, est celui d'une préparation active au don de sainteté, qui pourtant n'appartient qu'à Dieu. En effet, Dieu seul est *al-Quddûs*, le Très-Saint, dont les anges ne cessent de proclamer la louange et la sainteté. L'homme qui devient *walî Allâh* est proche de Dieu comme il est proche des hommes. Le saint est le plus beau des signes proposés par Dieu aux hommes pour leur édification intérieure. « Quand de telles personnes sont vues, c'est de Dieu dont on se souvient »⁽³⁾, rappelle la tradition prophétique. Le serviteur s'est éteint (*fanâ'*) en Dieu, et c'est Lui qui en assume la permanence (*baqâ'*) à sa place : « Dieu prend en charge (*yatawallâ*) les vertueux »⁽⁴⁾. Le saint n'est plus seulement un serviteur ; il est devenu *al-walî*, l'ami proche et protégé, sous l'ombre lumineuse de Dieu *al-Walî*, l'Ami Protecteur. « La protection (*walâya*) n'appartient alors qu'à Dieu, le Vrai. Il accorde la meilleure récompense et le meilleur résultat. »⁽⁵⁾

On raconte que lorsque le shaykh Abû Madyan s'apprêtait à mourir l'un de ses disciples voulut obtenir de lui un testament spirituel. « *Subhâna-Llâh !* s'écria Abû Madyan, gloire à Dieu ! Qu'a donc été toute ma vie avec vous sinon un testament spirituel ? Y a-t-il testament plus éloquent que le témoignage direct ? » L'enseignement inspiré du maître ne consistait pas seulement en des paroles de sagesse, des poésies aux significations subtiles, ou des conseils pour les novices dans la Voie. Il passait également par l'exemple transparent d'un serviteur de Dieu ayant atteint, grâce à une sollicitude particulière de Dieu, un degré élevé de proximité divine, qui fit de lui l'instrument efficace de la Providence, le support de l'Assistance et de la Miséricorde de Dieu. Pôle spirituel de son temps, Abû Madyan est appelé, aujourd'hui encore, le « secours universel » ou « intercesseur divin » (*al-gawth*) et le « maître des maîtres » (*shaykh ash-shuyûkh*). De nombreux saints et disciples bénéficièrent, de manière directe ou indirecte, de ses enseignements, et reçurent de lui une *baraka* favorisant la naissance de plusieurs branches initiatiques, notamment celle de la Shâdhiliyya fondée par le shaykh Abû-l-Hasan al-Shâdhilî. L'un de ses descendants spirituels, le shaykh Bûzîdî, qui fut le maître du shaykh Ahmad al-'Alâwî de Mostaganem (m. 1934), disait : « Si vous ne pouvez trouver un maître spirituel, rendez-vous auprès de la tombe d'Abû Madyan pour y prier Dieu. »

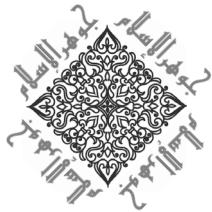
Le même shaykh al-'Alâwî a rédigé un commentaire des aphorismes (*hikam*) d'Abû Madyan, intitulé *Al-mawâdd al-ghaythiyya al-nâshi'a 'an al-hikam al-ghawthiyya*, « Les substances célestes extraites des aphorismes

(2) Coran, VI, 83.

(3) Ibn Mâjah.

(4) Coran, VII, 196.

(5) Coran, XVIII, 44.



Sainteté et orthodoxie : Abû Madyan Shu 'ayb (1126/1197)

par Abd al-Wadoud Gouraud⁽¹⁾

« Lorsque vous voyez quelqu'un faire des prodiges ou être le sujet de phénomènes surnaturels, n'y prêtez pas attention, mais regardez plutôt s'il se conforme aux règles de la Loi. » (aphorisme)

Evoquer l'enseignement et la vie du shaykh Abû Madyan Shu'ayb, saint patron de l'actuelle Algérie, où il est appelé couramment « Sidi Boumediène », nous permet d'aborder ce qui constitue la finalité même du *taçawwuf* : la sainteté. Eduqué par des maîtres d'Orient et d'Occident, vénéré par le peuple et les plus grands saints, Abû Madyan se démarque comme une figure indépendante de la spiritualité musulmane. Ses qualités prophétiques représentent un signe évident de la grâce sanctifiante de Dieu qui partage l'intimité de Sa présence avec ceux qu'Il choisit comme Ses proches. Il rappelle en même temps la vocation essentielle de l'homme et le but de son existence : la connaissance de Dieu, à laquelle il est possible de parvenir, à des degrés divers, selon la seule volonté divine.

Le chemin vers la connaissance de Dieu est la mystérieuse collaboration entre l'effort humain et le don divin. Certes, l'effort humain est important à travers la pratique des rites, la lecture des textes sacrés, le combat contre les passions, la patiente recherche du savoir, la méditation, la miséricorde envers toute la création. Mais l'action humaine demeure sans résultat si elle n'est

(1) Membre de l'Institut des Hautes Etudes Islamiques (IHEI), membre fondateur de l'Institut Supérieur de Théologie Musulmane (ISTM) de la grande mosquée de Lyon.

SOMMAIRE

Sainteté et orthodoxie : Abû Madyan Shu ‘ayb (1126/1197)..... 3

par Abd al-Wadoud Gouraud

Ce qui distingue la Tunisie dans l’Islam Spirituel 7

Par Mustapha ZOUBEIDI



JAWHAR EL ISLAM

Revue culturelle islamique - Tunisie

Numéro 5/6 - 21ème année